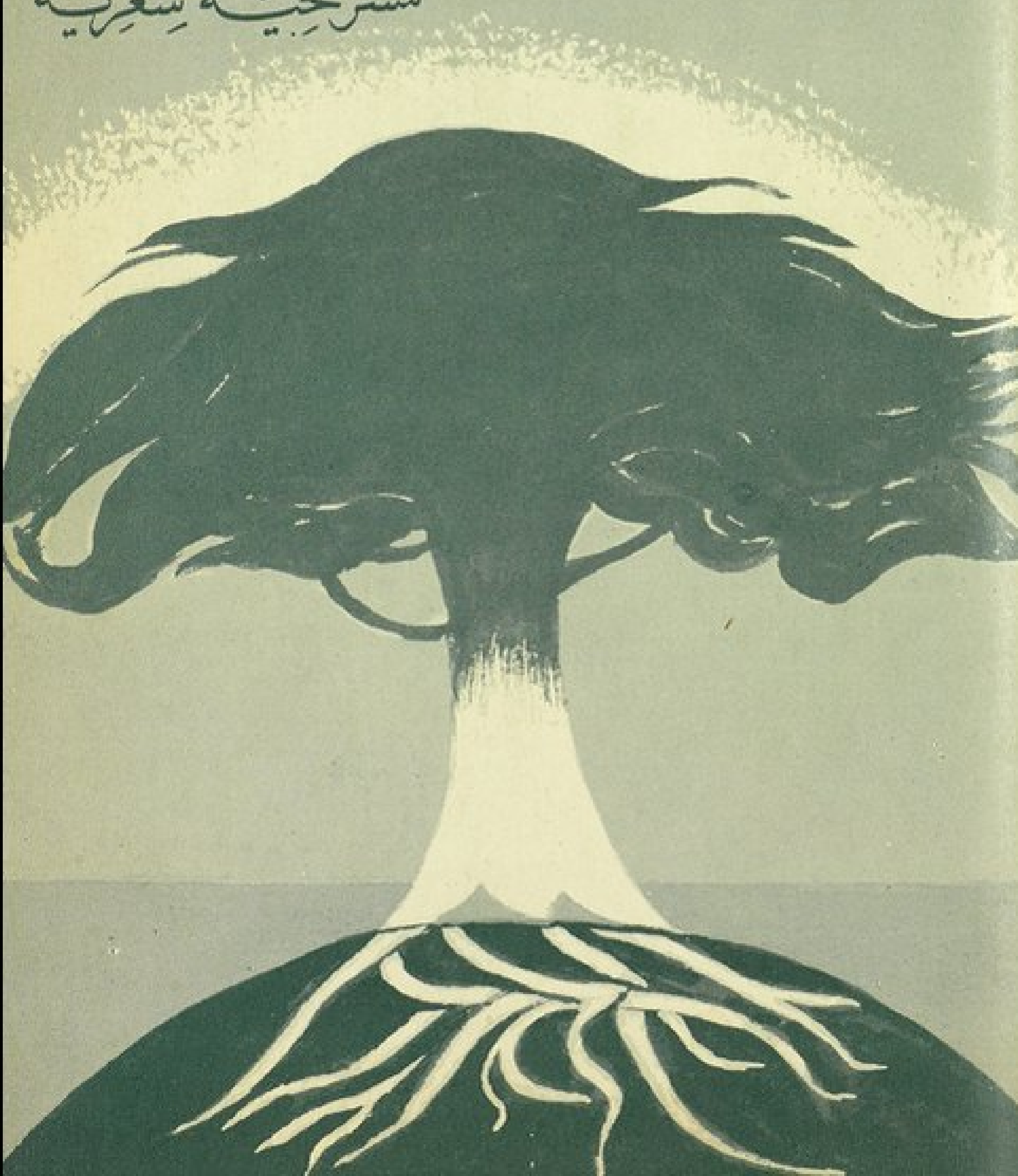
خالد الشواف

الزيتونة

مسرحية شعرية



خالد الشواف

الزيتونة

مسرحية شعرية

الاهداء

الى المؤمنين بقول الله تعالى ؛

« كنتم خير أمة أخرجت للناس »

خالد

الزَّيتُونَة

"لاشَرقِيَّةٌ ولاَغَربيَّةٌ"

بسم الله الرحمن الرحيم

« الله نور السماوات والأرض مثل نوره كمشكاة فيها مصباحٌ المصباح في زجاجةٍ الزجاجة كأنّها كوكب دريٌّ يوقَد من شجرة مباركةٍ زيتونة لا شرقيةٍ ولا غربية يكاد زيتها يضيء ولو لم تمسسْه نارٌ نورٌ على نور يهدي الله لنوره من يشاء ويضرب الله الأمثال للناس والله بكل شيءٍ عليم » .

قرآن كريم

الزيتونة

مسرحية شعرية

في ستة فصول وخاتمة

الزمان : أيام الدعوة الاسلامية ، قبل الهجرة وبعدها .

المكان : مكة ، ويثرب (المدينة المنورة) ، وموضع فى شمال الجزيرة العربية .

الاشـخـاص

واسط : فتى عربي ، نشأ فى الجاهلية ثم أسلم

سناد : امرأته

متمم : ابنهما ، رضيع فطفل فصبي

عبدالله : رجل من المسلمين الاوائل

عبدالرحمن : شيخ من المسلمين الاوائل

نصير : فتى من مسلمي مكة

زيد : فتى من مسلمي مكة

مسارع : فتى من قريش أسلم قبل الفتح

الحبشي : عبد من مسلمي مكة

الحبشية : امرأته

النضر : قاص من مشركي مكة

سعدى : فتاة من الأنصار

الأنصاري : أبو سعدى ، من يثرب ،

سعد : رضيع ، بن زيد وسعدى ،

شاس **فنحاص** **باطا**	يهود من يثرب

اسماء وردت فى المسرحية

مانع : عم نصير ، من مشركي مكة

خولة : ابنة مانع

حييُ بن أخطب : من زعماء اليهود

هُبَلْ **اللات** **العُزّى** **أساف**	من أسماء آلهة المشركين فى الجاهلية

دارا **ابرويز** **شيرويه**	من ملوك الفرس

ملاحظة : أشخاص المسرحية موضوعة وليس لها وجود تاريخي عدا ثلاثة ، النّضر وشاس وفنحاص ، ممن يظهرون فى المسرحية ، وعدا من ترد أسماؤهم فى المسرحية من الشخصيات الحقيقية .

النكـرات

الحجيج ، شيخ من مشركي قريش (مطعم الطعام) ، زعماء من القبائل العربية ، المعذبون من المسلمين فى مكة ، عدد من المهـاجرين والأنصار ، منافقون من يثرب ، حملة البشريات والأخبار ، منادون ، عبيد ، شيوخ ورجال وشباب ونساء وصبيان من مكة ويثرب .

ويوضح سياق المسرحية أدوار النكرات فيها .

كلمـــة

اعتمـدت المسرحيـة تاريخ الدعوة الاسلاميـة إطـارا للموضوع من أحداثها وأشخاصها ، دفعا للحرج من أظهار الشخصيـات الاسـلاميـة الكريمة على المسرح من جهة ، وإطلاقاً لريشـة الفن فى تصـوير الوقائع والاحداث والأشخاص بما يلائم فكرة المسرحية دون خروج عن خطوط التاريخ العريضة من جهة اخرى .

ولئن اقتضى الزمن الطويل الذى تقع فيه الاحداث طولا فى المسرحية بلغت معه ستة فصول وخاتمة ، فقد عولجت فصولها بحيث يكون لعنصر الأضاءة فى تغيير المشـاهد ما يجعلهـا لا تتعدى ، كثيراً ، حدود الساعات التي تستغرقها المسرحيات المعاصرة الطويلة عند التمثيل على المسرح ؟

الفصل الاول

المنظر الأول

« ينفرج الستار عن خباء عربي فى مقدمة المسرح ، وأخبية وخيام فى حي عربي يبدو من بعيد فى نهاية المسرح ،فى موضع من شمال الجزيرة العربية ، على طريق القوافل الصاعدة للشمال » .

المشهد (١)

« الوقت فجر . أصوات جلاجل تصدر عن قافلة تسير فى الطريق خارج المسرح وتصل الينا من جهة اليمين ، وصوت حادٍ يحدو »

صوت الحادي : البيدَ والقفـرا
والسهلَ والوعرا
الى حمى' كسرى

« ينفرج باب الخباء الذى فى مقدمة المسرح ويظهر فتى عربي أسمر مشدود القامة ، يقف عند باب الخباء ويرنو الى حيث مصدر الصوت » .

صوت الحادي : لا نوم لا تعريسْ
حُثّي الخطى' يا عيسْ
الى حمى' كسرى

يترك الفتى باب الخباء منفعلاً ويواربه عائدا الى الداخل .. يبتعد صوت جلاجل القافلة » .

« تتوالى الأضواء على المسرح ، ضوء يشير الى طلوع الشمس ، وآخر ساطع يشير الى الضحى ، وثالث من أعلى يشير الى الظهيرة ، ورابع مائل يشير الى الأصيل » .

المشهد (٢)

« الوقت أصيل ، تسمع أصوت جلاجل تصدر عن قافلة تسير في الطريق خارج المسرح ، وتصل الينا من جهة اليسار ، وصوت حادٍ يحدو »

صوت الحادي : تـدفقـي سـيـلا
وسـابقـي الليـلا
الى حمـى قيصـر

« ينفرج باب الخباء عن الفتى ، يرنو الى حيث مصدر الصوت وعلى ملامحه مظهر ألم مكبوت »

صوت الحادي : لا تشـتكي الأينـا
أيـن ولا أينـا
منّـا حمى قيصر ؟

« يتقدم الفتى قليلاً خارج الخباء ، بينما تخرج بعـد قليل امرأتـه تحمل رضيعها وهى تهدهده ثم تعود به الى داخل الخبـاء وترجع لتلحـق بالفتى »

سناد : ما بكَ يا واسط ؟ مـاذا تضمرُ ؟..
أكلمـا سـمعتَ صـوتـاً تنفـرُ ؟!

واسط : ما بىَ يا سنادُ .. مـا بى أيُّ شيئ

سناد (مقتربة منه) :
بـل بـك يا واسـط مـا تخفـي عليّ

واسط : سنادُ .. دعيني والذي بي ، فانني لأجهل ما أخفيه عنك فلا أبدي

سناد : وكيف ؟

واسط : وأيم الله إني لجاهل" بما بيَ من وقرٍ أنوءُ به وحدي
أحسُّ فراغ القلب ، والصدر مثقل" ،
سناد : فأين أنا ؟
واسط (مبتسماً) : فى حيث شبَّ الهوى عندي
سناد : فكيف فراغ القلب والزوج ملؤه وطفل يناغيك العشيات فى المهد ؟
واسط : لعل سنادي وابنها بعض مشكلي ، فليس بهيِّنٍ ما هما فيه من جهد
سناد : وسائره ؟
واسط : ما سوف يأتيكِ أمره اذا ما انجلى ليل العماية عن قصدي
سناد : نميل اذن عن هذه الأرض
واسط : كلها سواء ، أكانت فى تهامة أم نجد
سناد : فنشأو الى أكناف كسرى وقيصرٍ فأرضهما بالدَّر تفهق والشُهد
واسط : سنادُ !!
سناد : دع الشحناءَ واسط ، إنني أراك اذا شاحَنتَ ملتَ عن القصد
واسط : تريدين مني يا سنادُ تحولاً فأطرق أبواب الملوك وأستجدي ؟!
سناد : معاذ خلال العز واسط ، إنني أريدك أن تنأى عن الموضع النكد
واسط : مكاني هنا في القفر ، والقفر في اللظى أحن على قلبي وأندى على كبْدي
ولي غنمات" إن تدرَّ احتلبتُها ، وإن سنة" شدَّتْ عمدتُ الى الشد
وهيهات أن أشأو لكسرى وقيصرٍ فأرجع موفور الغنى فاقد الحمد
سناد : فما بال طرفيكَ اللذين تعلقا وأذنيكَ بالسارين فى القصد والعود ؟
واسط : تظنين أني أنفَسُ السفر جدهم ؟ .. وهمتِ .. فما جَد المغذِّين من جدي
أخذتُ عليهم أن تراق وجوههم ، وإن رقَّت الأبدان بالرافه الرغد
سناد : وماذا عليهم إن ألمّوا بقيصرٍ وكسرى فعادوا بالوفير من الرفد ؟
واسط : سنادُ .. وهل يعطي امرؤ" غير آخذٍ ؟ فكيف اذا شيبَ العَطاءُ بما يكدي ؟
سناد ـ يثيبون كسرى ؟! أم يثيبون قيصراً ؟! ..
(**تضحك .. ثم تستمر**) وماذا ؟ ..

واسط : ثواباً ليس يُحصر بالعَدّ

لقد أخذا منّا بما وهبا لنا نفائس أغلى من فضالات ما أُسدي

نفوساً أبيّاتٍ تلينُ فتنثني فتخطم أمثال البهائم فى القيد

وألسنةٌ مثل الصوارم عضبةٌ تعود من التمجيد مفلولة الحد

وكم من قناةٍ أُشرعت عربيةٍ وسيفٍ يمانيٍ ينسلُ من الغمد

ويحترب الحيّانِ أبناء جفنةٍ وماءِ السما كالمؤجرين من الجند

ويرجع كسرى غيرِ دامٍ وقيصرٌ وتنزف أرحام الأعاريب بالقد

تريدين مني أن أكون كبعضهم ؟٠ لقد جئتِ إدّاً

سناد : ذاك انك فى إدٍّ

وما الأرض الا أرض كسرى وقيصرٍ يسيمان فيها أو يذودان

واسط (مقاطعاً) : لا تعدي

أيملك كسرى أن يقوّض خيمتى ؟ وقيصرُ هل يستاق أغنمةً عندي؟

سناد : أينقص كسرى ذا الأواين خيمةٌ ؟ أيطمع رب الروم بالشعر والجلد؟

لذلك شطر الأرض يحلب درّها وشطر لذا٠٠ ماذا يصيبان فى نجد؟

واسط (وكأنه يحدث نفسه) : وماذا لنا فى الأرض ؟!

سناد (بسخرية وتشير الى ما حولها) : ما أنت واجدٌ

واسط (منتبهاً لنفسه) : سنادُ كفى ٠٠ لا تخلطي الهزل بالجد

فانى اعتزلتُ الحيَّ **(ويشير الى لأخبية البعيدة فى مؤخرة المسرح)**

لا متجافياً ٠٠ ولكنّ بعض الرأي كالجرب المعدي

ألم تسمعي ضيفاً ألمّ بحيّنا وقد عاد من كسرى يجاهر بالحمد ؟

الم تسمعي قوماً ألمّوا بقيصرٍ يسمونه، كالروم ، قيصرَ ذا المجد؟٠٠

ويسمعهم قومي فتهوي نفوسهم لخضراءَ فى غسانَ أو في بني هند

وقد علموا أن القبيلين وثّقا لعلجين عهداً بالولاء وبالود

سناد : فنبقىُ اذن فى حيث نحنُ ، فلا لذا ولا ذاك

واسط : هذا الرأي يجدي ٠٠ ولا يجدي

سناد : فما الرأىُ ؟..

واسط (واضعاً كفه على جبهته) : لا أدرى.. وان كنتُ سائلاً ؛ ألا وسطٌ في الأمر؟

سناد (بعجب ودهشة) : أمعنتَ في البعد

رأيتك إن حادٍ حدا العيس نافراً فقلت أرى رأياً إذا قال لا يردى

فلا تلحنى زوجاً تريد لبعلها وقد ضلّ أن يُهدى السبيل فتستهدي

واسط (وكانه يحدث نفسه) : وقد ضلّ..!! أن يُهدىُ السبيل ..!!

(ثم يمسك بكتفيها) أقلتِ لي.. وقد ضلّ ؟!

(يتركها ويتجه ببصره الى الأفق)

هل هادٍ سنادُ فأستهدي ؟!

« تنظر اليه سناد باشفاق ، وتمسك بيده ويتجهان الى الخباء ، ويلف الظلام المسرح »

المشهد (٣)

« الوقت صباح ، الخباء وقد انفرج في مقدمه عن واسط يتناول تمرات ويشرب في قعب من اللبن ، سناد جالسة تهز رضيعها في مهد من ليف معلق بعمودي الخباء » ٠

واسط (كمن يتمم حديثاً) : ومتى كان ذاك ؟

سناد : في غَبش الفجر ، وقد رحت أحلب الاغناما
عقل الناقة التي حملته ، وسقى واستقى فبلاً الأواما
ثم أدلى أخرى فطهّر بالماء يديه والوجه والأقداما
واستوى قائماً هنالك يتلو ، وهو في غمرة الخشوع ، كلاما

واسط : ما تبيّنتِ منه ؟

سناد : لله حمداً ٠٠ ودعاءً اليه ٠٠ واسترحاما
وتمليتُه يطيل ركوعاً وسجوداً الى الثرى ٠٠ وقياما
ثم لما انتهى رآني فحيّى ، وهو يندى بشاشةً وابتساما ،
لم يقل لي : عِمي صباحاً ٠٠ ، ولكن : أَمَةَ الله رحمةً وسلاما ٠٠
فتلجلجتُ ٠٠ ما أجيبُ ؟ ٠٠ فلما لم أجد ما به ارد السلاما
ملتُ للشاة فاحتلبتُ وقرّبت اليه ، فعبَّ منه ٠٠ وناما

واسط : أين ؟ ٠٠

سناد : في ظاهر الخباء ٠٠ أأدعوه ؟

واسط : دعي جفنه يصيب لماما
سوف أمضي اليه بعد قليلٍ فأرى أمره إذا هو قاما

« ينتهي واسط من فطوره ، ويقف ، وتقف سناد ، وقبل أن يبرحا الخباء يظهر من يمين المسرح رجل مهيب وقور ، وقد اعتمر عمرة بيضاء ، يقف بباب الخباء ٠٠ يبتسم ويحيّى »

عبدالله : أهل هذا الخبا سلامٌ عليكم

واسط : بك أهلاً

سناد : ومرحبـاً في الخبـاءِ

(واسط يشير اليه بالدخول)

واسط : ضيفنا أنت ٠٠ فاسترح

(يدخل عبدالله ، يمهد له واسط حشيّة يجلس عليها ،ويجلس واسط قبالته مخاطبا امرأته)

قرّبي منه سنادُ القِرى

عبدالله : أصبتُ كفائي

أحمد الله ٠٠ قد سقتني ٠٠ جزاها الله عني وعنـك خـير الجزاءِ

(يطرق عبدالله برأسه بينما يتبـادل واسـط وسنـاد نظـرات متسائلة ٠٠ وتنسحب سناد حاملة رضيعها)

واسط : ما اسم ضيفي ؟

عبدالله (**بعد تردد**) : إن شئتَ ٠٠ فاسمىَ عبدالله

واسط (**وكأنه يريد أن يشعره بالأمان عنده**) : أهلاً ٠٠ حللت رحباً أمينا

(صمت قليل ٠٠ ثم يستمر واسط)

ممّن الضيفُ ؟

عبدالله : واحدٌ من عباد الله

واسط (**متعجباً**) : أيُّ القبيل هم ؟

عبدالله (**باعتداد**) : مسلمونا

واسط : ما سمعنا بهم قبيلاً ٠٠

عبدالله : اذن تسمع عنهم

واسط : وأين هـم يقطنـونا ؟

عبدالله : عند بيت الله المحرّم

واسط : في مكة ؟٠٠ هل هم اولئك الصابئونا ؟

(يبتسم عبدالله ابتسامة هادئة ٠٠ ويجيب)

عبدالله : بل هم المسلمون لله ..

واسط : قالوا إنهم أحدثوا هنالك دينا

عبدالله : بل هو الله يا بنيَّ الذى أرسل بالدين أكرم المرسلينا

واسط **(وكأنه يتذكر أمراً)** :

قد سمعنا بكاهنٍ من قريشٍ قيل عنه معلّمٌ مجنونُ

عبدالله **(بقوة)** : حاش لله .. ما محمدٌ الكاهنَ لكنه الرسول الأمينُ

واسط : ويقولون ساحرٌ

عبدالله : بل نبيٌّ

واسط : ويقولون شاعرٌ مفتونُ

عبدالله : حاش لله .. إن ما ينطق الوحى ، ولا يستوي الهدى والفتونُ

واسط : ويقولون سفّهَ اللات والعزّىٰ

عبدالله : ولم لا ؟.. هما حجارٌ وطينُ ..

واسط **(منكراً)** : بعض أربابنا هما أيها الضيفُ

عبدالله **(بايمان)** : بل الله وحده ، لاشريكُ

خالق الأرض والسماءِ وما بينهما القادر العزيز المليكُ

واسط : وسواه ؟

عبدالله : ومن سواه ؟.. وهل فى الكون شيءٌ الا له مملوكُ ؟!

واسط : تلك أربابنا .. تقرّبنا لله زُلفى

عبدالله **(مقاطعاً)** : مَنٍ وقولٌ أفيكُ

أوَ زلفى لله يملكها صخرٌ نحيتٌ ومعدنٌ مسبوكُ ؟!

واسط **(وكأنه فى دوار)** : حسبُ يا ضيفُ .. حسبُ

(يصمت لحظة .. ثم يواصل)

أين هو الله أراه كما أرى الأربابا ؟

عبدالله : يغفر الله يا فتى .. يغفر الله .. لقد قلتَ ما يدكُّ الهضابا

لن ترى الصانع الذي صنع الكون ، ولكن ترى الصّنيع العجابا

الثرى والسماءَ والشمس والأنجـــم والليل والضحى والسحابا
كلُّ عـينٍ تـراه فيمـــا بـــراه إن أزاح اليقـينُ عنهـــا الحجابا

واسط : اليقينُ ٠٠!! الحجاب ٠٠!!

(يقف ٠٠ ويخطو خطوات ٠٠ ثم يلتفت الى عبدالله ٠٠ ويستمر)

ما قلتَ ؟٠٠ ما تعني ؟٠٠ فقد ندّ عن حجايَ البيانُ

عبدالله (يقف بدوره) : يا بنيَّ الحجاب هذى الضلالات٠٠وأما اليقينُ فالإيمانُ

واسط (كأنما يحدث نفسه) الضلالات!٠٠منذ أمسِ الضلالات ٠٠٠

عبدالله (بصوت عميق) : ومذ بارح السما الانسانُ

« تتوالى الاضواء على المسرح ٠٠ بينما يرنو واسط الى الصحراء ٠٠ يقف عبدالله خلفه ويضع كفه على كتف واسط وهو يبتسم ابتسامة أمل ٠٠ ضوء ساطع (الضحى) ٠٠ عمودي (الظهيرة) ٠٠ مائل (الأصيل) ٠٠ ثم « ظلام »

المشهد (٤)

« الوقت صباح •• باب الخباء منفرج عن سناد ترفع طفلها من مهده وترقصه وتغنيه »

سناد : بُنيَّ •• يا بُنيَّ •• يا بنيّا
أصبتَ من حلو الكرى هنيّا
والصبح قد لاح ••فهيَّ •• هيّا
قم يا بنيَّ •• قم مع الصباحِ

(تحمله وتخرج به من الخباء وتنظر الى يسار المسرح وكأنها تنتظر أحداً ثم تعود برضيعها الى الخباء وتواصل انشادها)

غداً أراك جَذَعاً فتيّا
تملأ عيني شبعاً وريّا
وتبلغ الحُلْم فأغشى الحيّا
أخطبُ من تهوى من الملاحِ

(تسمع سناد وقع حوافر جواد فتضجع طفلها وتخرج •• يظهر واسط بعد قليل وهو ينفض الغبار عن ردائه •• ويرى امرأته فيبتدرها)

واسط : سنادُ •• لقد أبطأتُ •• هل ترقبينني •؟

سناد : لقد مر نصف الليل وانصرم الفجرُ
وقد أسلم الصبح الغزالةَ للضحى، فحاك بصدري ما يضيق به الصدرُ

(يضحك واسط •• ويميل على رأسها فيقبله)

واسط : بلغتُ وأياه مشارف قريةٍ •• فعدت
(يصمت لحظة •• ثم يستمر) وبي من بعض ما قاله فكرُ

سناد : أكان حديث الأمس ؟

واسط : ذاك وغيره

سناد : وأين يريد ؟

واسط : الشام

سناد : ما فعله ؟

واسط : التجْرُ

لقد راح يشري أو يبيع تعلةً ، فما همّه ربح ولا همّه خُسرُ

سناد : وما همه ؟

واسط : دَينٌ له عند تاجر يعود به كيما يُفك به أسرُ

سناد : يُفكُ به أسرٌ ؟!

واسط : أجل .. أسر عصبةٍ مكبّلة بالقيد ينتاشها الضرُ

سناد : مكبلة بالقيد؟ أين؟ ومن هموا؟ وفيم؟ ألا أفصحتَ واسط..ما الأمرُ؟

واسط : سنادُ .. لقد أفضى لي الضيفُ بالذي لديه فلا خافٍ عليّ ولا سرُ

لقد دان بالاسلام..دين محمدٍ ، كما دان فى أم القُرى نفرٌ نزرُ،

وما كل من دانوا أكابر قومهم ، ولكنّ ضعاف القوم فيهم هم الكثرُ

وهاجت قريشٌ ثم ماجت وأرعدت..وأعقب ذاك الرعدَ من سيبها الشرُ

أتابقُ عبدانٌ لديها أذلّةٌ فتتبع ديناً أمره عندها نكرُ ؟!

وراحت تذيق الآبقين عذابها .. فهذا له كيٌّ وتلك لها بترُ

وذاك على الرمضاء فى ظهر مكةٍ بهاجرة ملقى على صدره صخرُ

وقد آد هذا الأمر ضيفي وصحبه ، وكان لهم من فضل أموالهم يُسرُ

فراحوا يفكون العبيد تقرباً الى الله حتى أنفقوا جُلّ ما صرّوا

ولم يُبقِ عبدالله مالاً لفديةٍ فقد ناله مما أفاءَ به عسرُ

فيمم شطر الشام يطلبُ دَينه لعتق رقيقٍ

سناد : أمرهم ذاكَ مبهمُ !..

ولم لا يعود الآبقون فيأمنوا عذاب قريشٍ ؟..

واسط : ذاك ما لست أفهمُ

تساءلتُ عمّا تسألين ، فقال لي وما زاد شيئاً ؛ ليس يرتد مسلمُ

سـناد : مساكين ..

واسط : لا بل مؤمنون.. نفوسهم اذا عظم الخطب المبرّح تعظُمُ
يهون عليهم أن يصابوا فيصبروا ويسلم دين الله ..

سناد (بلهجة ذات معنى وهى تبتسم) : هل عدتَ منهمو ؟..

واسط : لئن أكبرت نفسى من القوم صبرهم فانىَ اِنسان يحسُّ ويألـم
ولكن.. وما أخفي.. يلفُّ بصيرتي من الشك ليلٌ غائرالنجممظلمُ

(يصمت قليلاً بينما تكون سناد قد استغرقت فى تفكيرٍ عميق..
ثم يواصل)

عزمتُ على شيىءٍ

سـناد : وما ذاك ؟..

واسط : أنتهي الى البيت اِن وافى الحجيج فأعلمُ

(صمت من كليهما)

ـ سـتار ـ

الفصل الثانى

المنظر الثاني

« البيت الحرام فى مكة ، تظهر من بعيد الكعبة وقد علتها وأحاطت بها أصنام قريش ، جدار فى طرف المسرح بينه وبين الكعبة ساحة يمر بها الطائفون من الحجيج »

المشهد (١)

« الوقت ضحى ٠٠ واسط يجلس الى الجدار الذى فى طرف المسرح يرقب الساعين والطائفين حول الكعبة ٠٠ يمر به موكب من الحجيج يتقدمه كهل يلبّي ويتبعه الآخرون بالتلبية »

الكهل : لبيك ٠٠ لبيك هُبَلْ

الحجيج : لبيك ٠٠ لبيك هُبَلْ

الكهل : أُعْلُ هبلْ ٠٠ أُعْلُ هُبَلْ

الحجيج : أُعْلُ هبلْ ٠٠ أُعْلُ هُبَلْ

« يجتاز الجمع من أمام واسط للطواف حول الكعبة وهو جالس يرمقهم بنظرات حائرة ، يقف فى الطرف الآخر من الجدار الذى يجلس اليه رجلان من المشركين يتحدثان فيسمعهما »

الأول : أتراه يريد ملكاً عريضاً أم تراه يريد مالاً وفيرا ؟

الثاني : حدّثوه بمثل هذا وأنهوا عُتْبَةً منهمو اليه سفيرا فأبى غير أن يجيبوه لله

الاول : فماذا يرون ؟

الثاني : أمراً خطيرا

الاول : ومتى ؟

الثاني : قبل أن يُضِلَّ ـ فقد أُوتِيَ سحر البيان ـ خلقاً كثيرا

« يجتاز الرجلان المسرح ·· يقف فى مكانهما رجلان آخران من المسلمين يتحدثان »

الأول : شاهت الأوجه التى تعبد الصخر ولا تعبد العليّ العظيما
نحتته والهته كأنْ لم يودع الله فى الرؤوس حلوما

الثانى : قل كريماً ·· فانها قادها الجهل فضلّت سبيلها المستقيما
وادعُ لله يهدِها ما هدانا إنه كان بالعباد رحيما

« يغادران المسرح ·· يمر من أمام واسط رجل بدين قصير في يده سلسلة مفاتيح يتبعه رجل ضاوٍ نحيف وهما يتحاوران »

البدين (بصوت متحشرج): قلتُ ضِعفاً ·· فان أردت خذ المال والا فلا أرى لك وجها

النحيف (مستعطفاً): خذ على المال ربعه ·· لا تُحمّلْنِيَ ما لا أطيق، فالعدل ينهى

البدين (ساخراً) : مل الى العدل فاقترضْ منه بالربع

النحيف : فنصفاً إن شئتَ

البدين (بصبرٍ نافد وصوت مخنوق) : هيهات ·· هيها ··

(يقطع حوارهما الموكب في دورة ثانية ·· الكهل يلبي والحجيج يرددون)

الكهل : لبيكَ ·· لبيك هُبَلْ

الحجيج : لبيكَ ·· لبيك هُبَلْ

الكهل : اعل هبل ·· اعل هبلْ

الحجيج : اعل هبل ·· اعل هبلْ

«يجتاز الموكب ·· وفجأة تملأ المسرح أصوات صراخ وآهات من خارجه ·· ثم تظهر جماعة من المشركين تدفع أمامها جماعة من المسلمين موثقة بالحبال وفيهم بعض العبيد وامرأة واحدة ·· يقف واسط وهو يشاهدهم »

مشرك : قولوا معى : أعلُ هُبَلْ

مسلم : بل : « قل هو الله أحدٌ »

المشرك : خذ أيها الآبق ·· خذ « يهوى عليه بالسوط »

المسلم : أحَدْ .. أحَدْ .. أحَدْ .. أحَدْ

المشرك (لصاحبه) : مثل بلالٍ .. كلما عذبته صاح أحد

(ثم للمسلم) : غداً سألقيكَ على الرمضاء فى ظهر البلد

وسوف أُلقي حجراً عليك يطحن الجسدْ

وصحْ كما صاح أخوك العبد من قبل

المسلم (مقاطعاً) : أحَد

« يعود المشرك فيهوى عليه وعلى صحبه بالسوط وهو يصيح »

المشرك : يا ويلها شرذمةً تلمُّ كل من فسد

لو كان لي الأمر خنقتها بحبلٍ

المرأة المسلمة (تقاطعه) : من مَسَدْ

« يضحك المسلمون .. ويفهم المشركون التعريض فيجن جنونهم وينهال المشرك بالسوط على المرأة فتصرخ صراخاً موجعاً »

المرأة : أحَد .. أحَد .. أحَد .. أحَد

المسلمون : أحَد .. أحَد .. أحَد .. أحَد

« يظهر عبدالرحمن .. شيخ من المسلمين الأوائل مهيب الطلعة « فيعترض المشركين »

عبدالرحمن : ما بالكم يا قوم ؟ هذى امرأةٌ مستضعفهْ

مشرك : وأنت .. ما شأنك يا شيخ وهذى المرجفة؟ ..

عبدالرحمن : ما ذنبها ؟

المشرك : توحد الله

عبدالرحمن : أهذا ذنبُها ؟!

يا ويلكم إن نالكم بما اجترحتم ربُها ..

مشرك آخر : أمشفقٌ أنت عليها أيها الشيخ ؟

عبدالرحمن : أجلْ

ومعتق إن باعها مالكها

المشرك الآخر (ماداً يده) : لقد فعلْ

« يخرج عبدالرحمن صُرّةً من كمه فيقذف بها الى المشرك الآخر الذي يتلقفها ويعمد الى المرأة فيحل وثاقها ويدفع بها الى الشيخ قائلا »

خذها .. لما شئتَ ..

عبدالرحمن : معاذ الله .. فهي مُطْلَقه

(ثم للمرأة بحنو) يا أمة الله اذهبي حيث أردتِ .. معتَقة

«تميل المرأة على يد الشيخ عبدالرحمن محاولة تقبيلها فيسحب يده وتنصرف»

« ويدفع رهط المشركين بالمسلمين الى الجانب الآخر من المسرح »

« يشاهد واسط هذا كله ثم يتهاوى جالساً الى الجدار »

« وهو فى تفكير عميق .. يعود موكب الحجيج فى دورة اخرى »

« الكهل يلبى والجمع يردد »

الكهل : لبيك .. لبيك هُبَلْ

الحجيج : لبيك .. لبيك هبلْ

الكهل : أعل هبل .. أعل هبل

الحجيج : أعل هبل .. أعل هبل

«يجتاز الموكب .. وقبل أن يصل الطرف الآخر من المسرح ينفصل عنه رجل ضخم من المشركين يلمح واسطاً وهو جالس الى الجدار فيقترب منه ويخاطبه بغلظة »

الرجل : مالكَ لا تسعى ولا تلبّي ؟!

« يرمقه واسط بنظرات حادة ولا يجيب .. يهوي الرجل بكفه على كتف واسط مغضباً وهو يصيح »

قم يا فتى .. فلتسعَ ولتلبِّ

« ينهض واسط منفعلاً ويرفع يده وهو يهم بالرجل ، وقبل أن يضربه يحس بيد تمسك برسغه من الخلف ، يلتفت واسط فيجد عبدالله يبتسم له .. بينما يختفي الرجل الضخم »

واسط (بفرح) : أنت .. حييتَ يا صديقيَ عبدالله .. يا مرحبا

عبدالله (مبتسماً) : سلامٌ .. وأهلا

« يعتنقان »

واسط : ومتى عدتَ ؟

عبدالله : أمسِ

واسط : وفّقتَ في مسعاكَ ؟

عبدالله (يومىء بالايجاب قائلاً) : حمداً لله عز وجلا

(يصمت لحظة .. ثم يستمر) مذ متى أنت هاهنا ؟

واسط : من ليالٍ

عبدالله : أنت ضيفي اذن .. فأهلاً وسهلا

مل بنا نقتعدْ مكاناً قصيّاً .. هيَّ

(يقوده الى الطرف الآخر من الجدار ويجلسان .. يستمر عبدالله)

حجاً تريد واسط ؟

واسط : كــلا

عبدالله (مبتسماً) : أفبيعاً إذن ؟

واسط : ولا ذاكَ

عبدالله (باشفاق) : يا واسط .. تخفي أمراً .. وتحمل ثقلا

(يصمت واسط ولا يجيب .. يستمر عبدالله بصوت رقيق)

ألقِ ما آدَ منكبيكَ وإن تابَ فدع كاهلي يشاطرْكَ حمـــلا

واسط : ألقيَ العبءُ عنك .. فانعم خفيفاً

عبدالله (معاتباً) : أترى ذاك ؟.. ألف حاشا .. وكلا

واسط : أنا في وقدة الهجير .. فلا تناَ عن الظل

عبدالله : فأتِني تلقَ ظلاً ..

واسط : أنا في غمرة من الشك عبدالله

(يلتفت ناحية الكعبة .. ويطلق نفساً عميقاً .. ويستمر)

في ضلّةٍ

عبدالله (بهدوء رائع) : هداكَ اللهُ

لا تَرُعْ ٠٠ فالايمانُ آتٍ ولا ريب ٠٠ وهذا دبيبهُ وخُطاه

كلنا ضلَّ قبل أن يأذن الله ٠٠ وكلاً بعد الضلال هداهُ

لك أن تأتسي بمن أنزل الله عليه كتابه واصطفاهُ

واسط (بعجب) : أوَ ضلَّ الرسول ؟!

عبدالله : حتى هَدَىَ الله تعالى فبثّ فينا هُداهُ

(يعتدل عبدالله فى جلسته ويقرأ سورة الضحى بخشوع)

بسم الله الرحمن الرحيم

[والضحىٰ ، والليل اذا سجىٰ ، ما ودعك ربك وما قلىٰ ، وللآخرةُ خير لك من الأولى ، ولسوف يعطيك ربك فترضى ، ألم يجدك يتيماً فآوىٰ ، ووجدك ضالاً فهدى ، ووجدك عائلا فأغنىٰ ، فأما اليتيمَ فلا تقهر ، وأما السائلَ فلا تنهر ، وأما بنعمة ربك فحدث] ٠

واسط (وهو يردد كالمأخوذ) : ووجدك ضالاً ٠٠ فهدى

ووجدك ضالاً ٠٠ فهدى

ووجدك ٠٠ ضالا ٠٠

عبدالله (بصوت عميق) : فهدى

« يسطع فى المسرح ضوء قوى يشير الى ارتفاع الضحى ، بينما يردد واسط »

واسط : أشهد أن لا إله الا الله

وأشهد أن محمداً رسول الله

«يقوم عبدالله ، ويأخذ بيد واسط داعياً اياه الى الخروج معه ، يخرجان بخطوات بطيئة ، بينما تتوالى الأضواء على المسرح ، عمودية (الظهيرة) ، مائلة (الأصيل) ثم خافتة (المساء) »

المشهد (٢)

« المنظر السابق ، الوقت عشاء •• تنعكس على جانبي الكعبة أضواء نيران موقدة من جانبي المسرح ، يدخل عبدان أسودان يحملان قدراً كبيرة يضعانها على الأرض فى الساحة ويمدان حصيراً ثم يضعان صحافاً ويفرغان فيها ثريداً من القدر ، ثم يدخل شيخ من شيوخ قريش له لحية بيضاء »

الشيخ (مناديا) : هلمّوا الطعامَ •• هلمّوا الطعامَ
هلمّوا الثريدَ •• هلمّوا الثريدَ

أحد العبدين (يلتفت يميناً) : هلمّوا •• هلمّوا•• الطعامَ الطعامَ

العبد الآخر (يلتفت يساراً) : هلمّوا •• هلمّوا•• الثريدَ الثريدَ

(يتقاطر الحجيج على المسرح من جانبيه ، تدخل جماعة من اليمين)

الجماعة : عم مساءً

الشيخ : عموا مساءً •• وهيّوا

(يشير الى البساط فيجلسون حوله •• وتدخل جماعة أخرى من اليسار) •

الجماعة : عم مساءً

الشيخ : عموا مساء •• هلمّوا

(ياكلون •• بينما يطوف حولهم الشيخ مرحباً)

مرحباً بالحجيج •• أهلاً ضيوف البيت

(ثم للعبدين) صبّا من الطعام الهنىءِ

(يظهر واسط فى طرف المسرح وهو يتأمل الكعبة •• يلمحه الشيخ فيناديه)

يا فتى •• هيءً •• ولتَصب من طعام البيتِ شيئاً

واسط (من مكانه) : أصبتُ قبل مجيىءِ

الشيخ لقمةً .. لقمتين ..

واسط (معتذراً) : حسبي ..

رجل من الآكلين لصاحبه : وأيم اللات هذا من بعض رهط النبيءِ

صاحبه (وهو يأكل) : كيف تدري ؟

الرجل : هم لا يصيبون من لحم ذبيح لغير من يعبدونَهْ

صاحبه (مستمراً فى الأكل) :

مالنا والصباءِ .. كل من ذبيحٍ لأسافٍ غريضَه وسمينَهْ

(ينتهي القوم من طعامهم)

أحدهم : قد حمدناكَ

آخر : مطعم القوم حمداً

ثالث : قد شكرناكِ

الشيخ : ثمَّ ما تسمعونَهْ

(يشير الى جوار الكعبة ويدعو القوم)

بنا يا ضيوف .. بنا نسمرُ ، ونسمع أعجب ما يؤثرُ

(يميلون الى جوار الكعبة ويتحلقون حول الشيخ فينادى أحدهم)

ويا نَضْرُ

النضر : لبيكَ

الشيخ : ماذا لديكَ ؟

النضر : ماذا تحبون ؟

الشيخ : ما يحضرُ

(يقوم النضر ويجلس بجوارالشيخ وحولهما القوم..يقترب واسط فيجلس فى طرف المسرح .. يدخل نصير ، فتى من مسلمي مكة ، فيجلس قريباً منه ..)

النضر : أُحدِّثُ عن أبرويز العظيم .. وعن عرش دارا الذي يبهرُ

أحدهم : أجل هات يا نضرُ
آخر : يا نضر هاتِ
ثالث : فذاك الحديث الذي يسحرُ
النظر (باعتداد) : أجل ·· هو ·· لا الزمزمات التي يفوه بها كاهنٌ يشعرُ
يُحدِّثُ عن جنةٍ في السماءِ ينساب في أرضها كوثرُ
ويذكر مُوقَدةً باللظى لمن لم يصدق به تُسعرُ
وإيّان ذلك ؟!·· بعد البلى·· إذا الناس جمّعهم محشرُ
(يضحكون ·· يستمر النضر)
ولكن ·· أحدثكم بالذي رأيتُ ·· ولا يكذب المبصرُ
(يتنحنح ·· ويبدأ الحديث من أوله)
أُحَدِّثُ عن أبرويز العظيم ·· وعن عرش دارا الذي يبهرُ
وما عرش دارا ؟!·· أريكُ النضارَ تدرّج من تحته المرمرُ
تدلّى على جانبيه النجوم ويسنى الزبرجد والجوهرُ
دخلتُ ·· ومن فوقه أبرويز يموج بايوانه العسكرُ
وكان على رأسه كالشعاع ، رأد الضحى ، تاجُه الأصفرُ
ويأتلقُ الدرُّ في تاجه فيخطف أبصار من ينظرُ
وفي يده الصولجانُ العقيقُ يَنهى به القوم أو يأمرُ
وأُدْنيتُ منه وبي رعدةٌ كما يرعد الطيرُ إذ يمطرُ
وقد نُكِّسَ الهام ، هام الرجال ، وغضّوا العيون فلم ينظروا
(يسكت قليلا ·· ويتنحنح ثانية ، وكأنه ينتظر تأثير حديثه في القوم ، ويبدو عليه الارتياح وهو يراهم متلهفين لحديثه ·· فيستمر)
وأومى ·· فجاء ابنهُ شيرويهِ في حُلّةٍ سندسٍ يخطرُ
عليها من الوشيِ ، وشي الصنّاع ، ما لم تكن صنعت حِميَرُ
من اللؤلؤ الرطب حافاتُها ، ومن مخمل كمُّها المُقْصَرُ
وقد فُتِّتَ المسكُ في جيبها ودُسَّ بطيّاتها العنبرُ
ويمشي ·· فيسبق منه الخطى الى عرش دارا الشذى المسكرُ
ومال أبوه على أذنه يُسِرُّ ، فمال الفتى يجهرُ

ونادى المنادي ٠٠ فماج الرجال ، والفيتْني فيهمو أُحشرُ
وطافوا ٠٠ وطفتُ بإيوانه ، وإيوانُه العجبُ الأكبرُ ،
له قبّةٌ كقباب السماء يرقى بها طرف من يبصرُ
ويرتدُّ عنها الى زخرفٍ يؤطّرُ أبرعَ ما صوّروا
ترى الخيل تجري بفرسانها ومن فوقها انعقد العِثْيَرُ
وتبصر في رهجٍ عسكراً يطارده في الوغى عسكرُ
وقد قام كسرى على ربوةٍ يدير رحاها التي تهدرُ

(يصمت قليلاً فيستحثه السامرون)

احدهم : وما بعد يا نضرُ ؟٠٠

آخر : يا نضر ٠٠ هيهِ ٠٠!

ثالث : ما بعد نضرُ ٠٠ أما تذكر ؟!٠٠

(يبتسم النضر ٠٠ ويواصل)

النضر : وقيل البساتين ٠٠ والمُسْمِعات ٠٠ فملنا إليها ٠٠ وما أشعرُ
ومدّوا بساطاً ، يولّي الربيعُ ٠٠ فيزهر فيه ويخضوضرُ
وصَبَّتْ لنا الخمر في أكؤسٍ من التبر ساقيةٌ معصرُ
وطاف بنا طائف بالثمار ، وآخرُ طاف بما يُقْشَرُ
وغنت لنا قينةٌ بالذي به سبق الدفُّ والمزهرُ
وجاوبها في الغناء القيانُ ، وهاج لها فتيةٌ تزمُرُ
وقامت تَراقَصُ من حولها مها الفُرس ٠٠ تدنو ولا تنفرُ
وجيءَ لنا بالصحاف اللجينِ وقد أوقروها بما أوقروا
ففيها الشواءُ ٠٠ وفيها السّليقُ ٠٠ وفيها الأفاويهُ والسكّرُ
ومال النهار ٠٠ فملنا العشاءَ ٠٠ أقول : أُصدّقُ ٠٠ أم أُنكرُ !٠٠

(يصفق بيديه صفقة خفيفة علامة انتهائه من الحديث ، ويسارقهم النظرات مبتسماً وقد سرى فيهم الاعجاب)

أحدهم : فتلك الحياة ٠٠!

آخر : وذاك النعيم ٠٠!

ثالث : والعيش ، يا حبذا ، الأخضرُ ٠٠!

نصير (كمن يحدث نفسه): وهذا الضلال الذى ساقكم اليه الخبيثُ ولم تشعروا

(يسمعه واسط ٠٠ فيرمقه بعجب بينما يقوم القوم لينصرفوا)

جماعة منهم : وداعاً

الشيخ : وداعاً

جماعة اخرى: الى الملتقى

الشيخ : الى الملتقى فى غدٍ نسمرُ

نصير (مع نفسه وبألم): وتروون أخبار هذا وذاك ٠٠ وعنكم ٠٠ ألا خبر يؤثر؟!

(يبارح القوم المسرح من اليمين واليسار ، ويبقى واسط وهو يرنو بعينيه الى نصير ، ويراه نصير فيقبل عليه ٠٠ ويخلو المسرح الا منهما)

نصير : أراكَ انتبذتَ المكان القصيَّ ، وقاموا ، وأنت هنا تفكِرُ

واسط : وأنتَ ؟ تلكَّوُ فى الأنصراف ٠٠ فماذا أمامك ٠٠ ما تحذرُ ؟

نصير : رأيتكَ منقبضاً للسماع ، فماذا بنفسك ؟

واسط : لا أُنكرُ

لعمري لقد سحر السامعينَ ، والنَضْرُ شيطانُهُ يسحرُ ،

ولكنني لا تجوز الرُقى علىَّ وإن دسَّها عبقرُ

نصير (منفتحاً له) : ولا أنا يا صاحبي ٠٠ إنها رُقىُ الشر ينفثها مؤجرُ

يدسُّ لنا بعضها أبرويز ، ويُزجي ببعضٍ لنا قيصرُ

وتنفثُ فى العرب السامعين فيسري بهم سمُها المقطَرُ

ويختلفون ٠٠ فرهطٌ لذا ، ورهطٌ لذلك مُستَنفَرُ

ويصلىُ العراقُ ويصلىُ الشآم ونصلى بجاحمةٍ تُسعَرُ

ومالي ولا لكَ إلاّ الحرُور وينفدُ بالمغنم المُسْعِرُ

واسط : كذاكَ ٠٠ فهل كاشفٌ منكمو دسيسَ الرواة ؟ وهل منكرُ

نصير : لعمري لقد نصح الناصحون ، ولكننا أمةٌ تسدرُ

واسط : وكيف ؟ أما جاءكم ٠٠

(يصمت قليلاً ٠٠ وكأنه يخشى الاسترسال)

نصير (مبتسماً) : لا تخَفْ ٠٠ وقلها ٠٠ فما أنا من يُحذَرُ

واسط (مطمئناً) : وكيف٠٠أما جاءكم مُرسَلٌ أمينٌ بشيرٌ لكم منذرُ٠٠!

نصير : بلى ٠٠ جاءنا وأضاءَ السبيل كما يفعل الصبح إذ يُسفرُ

ولكنَّ من يألفون الظلام يعميهمو الألقُ المسفرُ

واسط (برقة) : أتيأسُ ؟

نصير (بقوة) : لا والذي جاءنا من الحق ٠٠ إن الهدى يظهرُ

لئن عزَّ كسرى بنيرانه ، وعزَّ بصُلبانه قيصرُ

فنحنُ أعزُّ بما عندنا وقد جاءنا ديننا الأزهرُ

وقد جفَّ ما عند هذا وذاك ، وما عندنا يانعٌ أخضرُ

بلاغ الرسالة ، وحي السماء للأرض ، يحمله الأقدرُ

فهل يُدركُ العربُ الغافلون كيف السماءُ لهم تنظُرُ ؟٠٠

هم الأمَّةُ القُدوةُ المصطفاةُ لما قدَّر القدر الأكبرُ

فواهاً قريشُ ٠٠ متى ترعوينَ فيقصُر باطلُكِ المنكَرُ ؟!

وواهاً قريشُ ٠٠ متى تؤمنين فيتبعك الملأُ المنكِرُ ؟!

وواهاً قريش ٠٠ متى تسلكين درباً به الرَّكبُ لا يعثُرُ ؟!

فلا هو أيمنُ اذ ينتهي ، ولا هو إذ ينتهي أيسرُ

ولكنه وَسَطٌ في الدروب عدْلُ المحجة لا أزوَرُ

يساوي المغذَّين في نهجه فلا يفضل الأسودَ الأحمرُ

ويُشركهم في متاع الطريق فيحتمل المعسرَ الموسِرُ

واسط (بحماس) : نطقتَ بما جال في خاطري كأنك تكشفُ ما أُضمرُ

هو الدرب يا صاحبي ما وصفتَ ٠٠ هو الدرب يسلكه المبصرُ

فلا تقنطنَّ ٠٠ قليلُ العمى وشيكٌ ٠٠ وصبحُ الهدى يُسفرُ

« يصمتان قليلاً بينما يبدو من جانب المسرح الأيمن عبدالله وكأنه يبحث

عن أحد ٠٠ يراهما فيقبل عليهما ويريانه فيقبلان عليه »

عبدالله (بعجب) : تعارفتما من قبل ؟!

واسط : لم أسأل اسمَه ، ولم يسأل اسمي

عبدالله (ضاحكاً وهو يعرف أحدهما بالآخر) : واسطٌ ونصيرُ

(يعتنقـــــان)

نصير : سمعنا معاً للنضْر كيـداً مزخرفاً فسـاور نفسينـا أسىً ونفـورُ
وقاموا ، فشدَّ النفسَ للنفس بثُها ففاضت شؤونٌ بيننا وأمورُ

عبدالله : صدقت وربي ، تآلف النفسُ أختَها ، فبين نفوس المؤمنين سفيرُ
وعنديَ عدْلٌ للذى تحملانه ، فلا تَرْهَقا٠٠ما فى الحياة عَسيرُ
لئن أنطقتْ نضراً قريشٌ بريبةٍ فلا جزعاً ، حبل المريب قصيرُ
يُحدِّثُ عن إيوان كسرى معظّماً ، وإيـوانـه لو تعلمون نخيرُ
يدبُّ اليه السوس من جـور ربـه وتأكل منـه النـار وهى تمورُ
وما عند كسرى عند قيصرَ ، إنـه ليبغي عـلى من دانهم ويجـورُ
فصبـراً ، فان اللهَ بالغُ أمـره ، وصبراً فأمر الله ليس يحـورُ
سيظهر أمر الله ، والله غالبٌ ، ولن تحجبَ الحقَّ المبين ستورُ
كأني أرى نيران كسرى خوامداً ، وهيكلَ بُصرى فى التراب يغورُ
كأني أرى راياتنا فوق جلّقٍ وفى شُرَف الأيوان وهى تطيرُ
وُعِدنا ، وان الله منجز وعـده ، وذاك عـلى الله القدير يسـيرُ
وما وعدُ ربي غمضةٌ وانتباهةٌ ، ولكنْ جهادٌ فى الحياة كبيرُ

(يصمت قليلاً ، بينما يكون واسط ونصير قد شدا الى كلماته)

نصير (بعجب): أوَعدٌ بشطريها؟!٠٠ونحن بمكةٍ قليلٌ نحلاً عن صُبابةِ زمزمِ !
تهاجر منا للنجاشيِّ عصبةٌ لتأمنَ فى ظلِ لـديـه وتحتمي
وتَدفَعَ أخرى للشعاب بدينها فتقطع فيها عن جوارٍ ومرحمِ !

عبدالله (بثقة): فأين يكون الوعد ان لم يكن هنا ؟ وما خير وعدٍ لا يجيء بمازمِ ؟
وأنّى يكون النجمُ للركْب رحمةً إذا غاب فى جُنْحٍ من الليل مظلمِ ؟

سمعتُ رسول الله ، إذ نحن نختفي لنسمع منه الوحيَ في دار أرقم،
يُبشّرنا بالفتح ، والقومُ بالأذى يَنالون منّا والحديثِ المرجّم ،
ويذكر ما تستعظم اليوم فتحه ، فو الله لم أرتَبْ بوعدٍ مُحَتَّمِ

نصير : لك التوبُ ربي ٠٠ما نطقتُ مشكّكاً، وغفرانَكَ اللهمَّ ٠٠لم أتأثّمِ
ولستُ بمرتابٍ بما الله فاتحٌ علينا ، ولكنْ هجسةٌ بلغت فمي

واسط : هو البرءُ عبدالله ما أنتَ واصفٌ، وقد كان جرحي لا يطيبُ لمرهمِ
صدَقتَ ٠٠وصدَقْتَ الذي جاءَ بالهدى ،وصدَقْتُ ٠٠لم أرتبْ ولم اتجمجم

(ينظر عبدالله الى جبال مكة وراء الكعبة في سكون الليل ورهبة المكان ، ويقول بصوت عميق)

عبدالله : سنون وتمضي ٠٠، وانظُرا أيَّ باذخٍ من الأرض لا يرقى له عزم مسلمِ

— ستار —

الفصل الثالث

المنظر الثالث

« يثرب ، ينفرج الستار عن ظاهر المدينة ، تبدو بيوتها من بعيد ، وتظهر أشجار النخيل من حولها ، في مقدمة المسرح ساحة واسعة » •

المشهد (١)

« الوقت قبيل الغروب ، جماعة في طرف المسرح ينظرون الى الخارج كأنهم يرقبون الطريق ، يشاهد فيهم عبدالله وواسط ، آخرون يجتازون المسرح رائحين غادين في ترقب وانتظار ، نساءٌ ، وتشاهد فيهنّ سناد تقود ابنها الطفل (متمم) وقد بدأ يمشي •• صبيان »

عبدالله(وهو يرقب الطريق): يا ربّ •• يا هاديَ الركب • يا دليلَ الحيارى

يا ربِّ •• تعلم أنّا نطوي الدجى والنهارا
ونحن نَرقبُ •• ما فينا من يَملُّ انتظارا
يا ربّ •• هل من بشيرٍ يُزجي لنا الأخبارا ؟!

(تغيب الشمس ، يظهر على الأفق شفق المغيب •• تخرج بعض النسوة ويبقى بعضهن وفيهن سناد وابنها)

واسط (من طرف المسرح ينادي ابنه) : متممُ

سناد (من طرف المسرح الآخر) : قم يا متممُ قمْ فلبِّ أباكَ

متمم (وهو يهرع الى أبيه) : نعم يا أبي

(يهمس واسط في اذن ابنه فينطلق هذا الى امه ويهمس بدوره في اذنها •• تقوم سناد وتقود ابنها ويخرجان ، وتلحق بهما بقية النسوة • ولا يبقى في المسرح الا الرجال يرقبون الطريق •• يظهر على الافق لون الغسق ، ثم يشتد الظلام بتقدم الليل ويغمر المسرح أخيراً) •

المشهد (٢)

(يضيء المسرح ضوء القمر .. عبدالله والرجال يرقبون الطريق ..)

واسط : مضى الليلُ ، عبدَالله ، الا" أقلّه فخذ خلسةً منه فانك مُتعَبُ

عبدالله : الى أن أرى ركبَ الرسول بيثربٍ .. والا" فاني قائمُ الليلَ أرقبُ

رجل : سنكفيكَ هذا الأمر .. أُجهدتَ .. فاسترحْ

عبدالله : أيَغمضُ لي جفنٌ وتسهر يثربُ ؟

فأين إذن شوقي اليه ونظرتي وسعيي إذا لاح الجبينُ المحبّبُ !..

(يجلس بعض الرجال ويسندون رؤوسهم بأيديهم ، ويبقى عبدالله وواسط يرقبان الطريق .. تمر لحظات .. يختفي ضوء القمر .. ويسود الظلام المسرح)

المشهد (٣)

« يتلون الافق بلون الشروق الوردي ، ثم تشرق الشمس ٠٠ وتعود الحركة الى المسرح من جديد بدخول رجال آخرين ونساء وصبيان ، بعض الرجال يتهامسون فيما بينهم ، وكذلك بعض النسوة ٠٠ والكل يرقبون »

أحدهم (فجأة) : سَمَاعِ ٠٠

(يلتفت اليه الجميع وينصتون ٠٠ بينما يستمر)

وأيم الله ٠٠ وقع حوافرٍ

آخر (مشيراً الى جهة الصوت) : أرى فارساً يعدو

جمع منهم (يشيرون اليه) : رأيناه

آخرون : قربًا

(يتكتل الجميع فى طرف المسرح الذى يشاهدون منه الفارس ، ينقطع صوت حوافر جواده ، لحظات ٠٠ ويدخل الرجل متهللا)

البشير : سلامٌ ٠٠ وبشرى أهل يثربَ ٠٠ أقبلوا

جماعة : سلامٌ

جماعة اخرى : وأهلاً يا بشير

جماعة ثالثة : ومرحبا

عبدالله (بلهفة) : سلامٌ بشير المؤمنين ورحمةٌ ٠٠ وعجل لنا البشرى

البشير (بزهو وايمان) : محمدُ في قُبَا

الجميع (بفرح طاغٍ) : لك الحمد ربي

عبدالله (بتأثر بالغ) : هاك بردي بشارةً

(يخلع برده ويلقيه على منكبى البشير ويستمر)

وهات فحدِّثنا حديثك مُطنبا

(يجلس عبدالله ويومىء للبشير فيجلس ، ويتحلق الرجال حولهما جالسين ، وتقف النساء والصبيان من حولهم يسمعون حديث الهجرة من البشير)

البشير : من أين أبدأ بالحديث ؟

عبدالله : مـن البـدايـة يـا بشـــيرُ

إن الحديثَ عن الـرســول هدايــةٌ وشــذىً ونــورُ

رجل : فمن البداية يا بشيرُ

امرأة : مـن البـدايـة يـا بشـــيرُ ..

(يومىء البشير برأسه امتثالاً ويبتسم ثم يروى لهم حديث الهجرة)

البشير : أقسمتْ مكةٌ ، وقـد أفلت الاسلام منها وهـاجر المسلمـونا ،

أن تصـد النبيَّ عن يثرب الأنصـار حتى وان سَقتْه المنـونـا

ودَعَتْ للنـدىً فالتئم الشركُ وقـد نـزَّ كبريـاءً طعينـا

ورأى رأيــه وكـــاد وأخفى ومشى في الدجـى يريد الأمينــا

ورأى اللهُ غـيرَ مـا بيَّت الشـركُ وأخفى وكـاد للكائدينـا

(يصمت لحظة فيبتدره أحدهم)

رجل : كيف بالله أبطل الله كيد الشرك ؟

البشير : قـد كــان فـى الفراش عـليٌ

وعليـه سـكينةُ المؤمن الفـادي وبُـرد ابن عمـــه الحضـرميٌ

ورآه فعـاد بالخيبـة الشـركُ ، ونـادى الملا ، وهـــاج الندىُ

، والرسول الأمين فى الغار والصديق يرعاهما الحفيظ العليُ ،

ثم بث الأرصـــاد حتى اذا مـا بلغتْ حيث كـان يـأوي النبيُ

مال منهم فتىً الى الغار

أصوات (بفزع) : يا ألله !

البشير (بهدوء) : وارتـــدَّ دون أن يغشــــــاهُ

أحدهم (بعجب) : كيف لم يَغْشَهُ ؟

آخر (بدهشة) : ومن ردَّه ؟

البشير (بهدوء) : خلقـان من بعض مـا براه اللهُ

الضعيفـــان إن رأيتَ .. القـويّان إذا ما علمتَ ما صنعــاهُ

عنكبوتٌ لها نسيجٌ على الغـــار عتيقٌ لـم ينتقضْ جانبـاهُ
ولـدى بابـه حمامة وحشٍ جثمتْ فـوق بيضهـا ترعـــاهُ

أحدهم : قدرة الله !

آخر : قدرة !!

عبدالله : إن لله تعـــالى مـن الخــلائـق جنـــدا

رجل (للبشير) : ثم ؟..

البشير : عادوا .. فدمدم الشرك خزيانَ وقد أخفق ائتماراً ورصدا
وتنادى ؛ لمن ثنى الـركبَ عنـدي مائـة من كرائم النـوق عـدّا
فتولّى (سراقةٌ) يُسرج المُهْرَ ويطوي به الفــلا يتصدى
ورأى الرّكبَ ، بعد أن بارح الغار ، وضاء السبيل غوراً ووهدا
لكز المهرَ إذ رأى ، فكبا .. ، فانحط عنـه ، فقام يعلو عليـهِ
فهـوى كالصريع عنه ، وسـاخ المهـر فى رمْلةٍ الى ركبتيـــهِ ،
وعرتْهُ من هيبة المصطفى الرجفـةُ من رأسـه الى أخمصيـهِ
فنضا سيفَه ، وألقـــاهُ أرضـــاً ، وجثـا يطلب الأمـان لديـهِ

أحدهم : تلك أجلى والله ..

آخر : ثمّ ؟..

البشير : تولّى يُنبيءُ الشركَ : لا سبيل اليـــهِ
وأراهـم كتابـه ، آيـةً منـــه ، وأضحـى عن النبيٌ يـــذودُ
كلمـــا هـمٌ مشركٌ بلحـاق الركب أو هـمٌ بالأذى من يريـدُ
لـم يدَعْـه سراقـةٌ وثنـاه وعـدُه عن سبيله والوعيـــدُ
ثم وافى ركبُ النبيّ قبـــاءً فاذا الأرض والسمــاوات عيـــدُ
بزغ النور فى قبا وأضاءت يوم وافى سماءُهـــا والصعيـــدُ

عبدالله : بأبى أنت يا نبيّ الهدى

واسط : ثمّ ؟

البشير : أقـــام الرســـول فيهـــا ليالي

خطّ للمسلمين مسجدهم فيها وصلّى في ساحه بالرجالِ
كبّروا الله جهرةً فيه

عبدالله : حمداً للعزيز المهيمن المتعالي

البشير : ثم نودي ؛ الرحالَ ، أمس .. فأسرجتُ جوادي قبيل شد الرحالِ
وطويت الفلا اليكم بشيراً فارقبوا مطلع الهدى والجلالِ

(يشير البشير وهو يتلو المقطع الأخير الى جهة الطريق الذى جاء منه .. لحظة صمت .. ويصيح فتى من الفتيان)

الفتى (صائحاً) : يا بني قيلةٍ

(يلتفت القوم الى الفتى فيشير هذا الى الطريق قائلا)

أخوكم .. أخوكم

(يقف الجالسون وينظر الجميع الى حيث يشير)

البشير (بفرح) : هو والله ركبه .. فهلمّوا

(يمد عبدالله كلتا يديه ويندفع وخلفه واسط الى حيث أشار البشير ، ويهرع خلفهما الرجال والصبيان، بينما تزغرد النسوة.. تظهر من الجانب الآخر من المسرح فتياتٌ يضربن بالدفوف وينشدن النشيد العذب الخالد)

الفتيات (منشدات) : [طلع البدر علينا من ثنيّات الوداعِ]
[وجب الشكر علينا ما دعا لله داعِ]
[أيها المبعوث فينا جئت بالأمر المطاعِ]

(تتجه الفتيات المنشدات والنسوة المزغردات الى طريق الركب ويغمر النور المسرح بضياء ساطع .. تمر لحظات .. يبتعد فيها صوت المنشدات ثم تبدأ الأضواء تتعاقب على المسرح ، فتتوالى أضواء الظهيرة ، فالأصيل ، فالليل) .

المشهد (٤)

« المنظر نفسه ، الوقت صباح ، رجال ونساء وصبيان يجتازون الساحة وهم في بشر ويتحدث بعضهم الى بعض وهم متهللون ، يدخل من الجانب الايمن عبدالله وواسط » .

عبدالله : (وكأنه يتمم) صدق الله العظيم

واسط : أجل .. صدق الله يا صاحبي ، وأبلغ مُختاره يثربا
لك الحمدُ ربي .. سمعت القلوب هاتفةً : مرحباً مرحبا
لك الحمدُ ربي .. رأيت العيون عادت لمركبه مركبا
لك الحمدُ ربي .. وهذي الوفود تقصُده موكباً موكبا
فتعلن اسلامها عنده وتشهد لله والمجتبىُ
وتطرح عنها ضلالاتِها وقد آثرت هدْيَهُ الأصوبا
لك الحمد ربي .. رأيتُ الإخاءَ يَسلِكُها دربه الأرحبا
وقد جمع الله بين القلوب ، وكانت الى نفرةٍ أقربا ،
وعانق أوْسِيُّها الخزرجيَّ ، وكانت تَعانَقُ أمس الظُبىُ

عبدالله : هو الدين .. يجمع شمل الذين كانوا الى أمس أيدي سَبا

واسط : ولكنَّ بي خشيةً من يهودَ وقد هالها الأمر أن تَشغَبا
رأيتُ بأعينها ما يريب ، وان كان سيدُها رحَّبا ،

عبدالله (بكلمة قوية) : رأيتَهمو

واسط : أرأيتَ السِّرارَ بينهمو حين ذاع النبا ؟
وحين أهلَّ الرسول الكريم وطاف بموكبه يثربا ؟

عبدالله : أجل

واسط : ومررتُ على حيِّهم عِشاءً فالفيتُهُ مُقْطِبا ..

عبدالله (باهتمام) : وماذا ؟

واسط : والفيتُــه مقفــراً ، وكــان لأهل الهــوى ملعبــا
تصيد الغوايةُ فيــه الشبابَ ويستدرج اللهوُ فيــه الصبّــا
والفيتُ فيه الكُوىْ غُلّقتْ لتحجب ما شيئَ أن يُحجبا ..
كأني بهــم كابــدوا ليلــةً اذاقتهمــــو خطبهـــا الأخطبـــا
فباتوا يكيدون

عبدالله (بايمان) : لا تبتئس .. سيُصبح كيدُهــم الأخيبـــا
(ثم يتلو) : [إنهم يكيدون كيداً وأكيد كيدا ، فمهل الكافرين أمهلهم رويدا] .

(فترة صمت)

واسط : عجبٌ أمرهــم ، وقــد عرفوا الله ، وهــم مثلنــا لديهــم كتــابُ
كيف لا يفرحون إذ يظهر الاسلام ؟!

عبدالله : أمرٌ له لديهــم حســابُ
أيهشّون للذي وحّد الله ؟..

واسط : ولــمْ لا ؟ أعندهــم أربابُ ؟!

عبدالله : ليس كل الأرباب لاتاً وعزّى ، بعضها عسجدٌ وبعضٌ رغــــابُ
هنّ كُثْرٌ ، وبعضها السحتُ والأكنازُ والغلُ والربّا والنهابُ
تلك أربابُهم ، فلا بدع ــ والاسلام ينهى عنهنّ ــ أن يرتابوا ..
أثّلوا فى حياتهم واسترقّوا ، فضياعٌ.. ووفرةٌ .. ورقابُ ..
هم يخافون أن يُذادُوا عن الدنيا وأن تصفر الغــداةَ العيــابُ

واسط : تلك والله حالهم .. ما عدوتَ الحقَ شيئاً ، ولا عداكَ الصوابُ
وكأنّي بهــم علينــا مــع الشــرك اذا لاحت الظُبىُ والحرابُ

عبدالله : ذاك أمرٌ لــه أوانٌ ، فان كــان ، فجــرم له لعمــري عقـــابُ
سوف يُمضىُ والقوم عهدٌ ، فان هم نقضوه فما يراه الــكتابُ

فارقب القوم وانتظر

(يكونان قد وصلا الى الطرف الثاني من المسرح ، وقبل أن يبرحاه يظهر متمم فيخاطب أباه) .

متمم : يا أبي **(يلتفت اليه واسط وعبدالله يستمر متمم)**

أقبل من مكةَ امرؤٌ عنكَ يسألُ

(يشير الى الجهة التي جاء منها .. ويستمر)

هوذا خلفيَ **(يظهر الرجل ..)**

زيد (مهاجر من مكة) : السلام عليكم

(يندفع اليه واسط وعبدالله بفرح .. ويعودان الى وسط المسرح)

عبدالله وواسط : وعليك السلام

(ثم يهرع اليه واسط قائلاً)

يا زيد أقبلْ

(يعانقه واسط .. ثم يعانقه عبدالله)

زيد (بلهفة) : كيف حال النبي ، صلّى عليه اللهُ ، في يثربٍ ؟

عبدالله : بأكرم منزلْ

زيد (رافعاً يده للسماء) : لك يا رب ألف حمدٍ ..

واسط : أكابدت عناءً ؟..

زيد : في الله ما شقٌ يسهلُ

عبدالله : كيف خلّفتَ مكّةَ ؟

زيد : تحرقُ الأُرَّمَ

عبدالله : والمسلمين ؟

زيد : منها تسلّلْ

عبدالله : وقريشاً ؟

زيد : كما تخال قريشاً .. إنها اليوم مِرجلٌ .. أيُّ مرجلْ

هاجر المصطفى .. فباتت لياليها طوالاً على الغضى تتململْ

فهيَ فيمن تخلّفوا تفثأُ الحقدَ وتُفشي فيهم أذاهـا وتُنزلْ
لا أراهـا وقـد أحاقت بهـا الخيبةُ إلاّ لدفعهـا تتعجـلْ
هي تخشى أن تستهين بهـا العُرب إذا لم تقم بأمرٍ وتفعـلْ
عبدالله : ذاك أمرٌ حتم ، ·· ونحن على العهد جميعاً لله ، والحِذْرُ أمثـلْ
(لحظة صمت ·· ويستمر عبدالله مخاطباً زيداً)
سوف القى النبيَّ، صلى عليه الله ، ·· فارحَضْ أذى الطريق وأقبلْ
واسط : سآتي به ·
عبدالله (وهو يبرح المسرح) : يرعاكما الله
واسط وزيد : راشداً
(لحظة صمت بعد خروج عبدالله ·· ويخلو المسرح الاّ من واسط وزيد) :
واسط : ويا زيد نبّئني بأمرٍ
زيـد : فسَمِّـهِ
واسط : أعندك علمٌ عن نصير بن مالكٍ ؟
زيـد : أجل
واسط (بفرح) : زوّجوه خولةَ ابنةَ عمّـهِ ؟
زيـد : لقد منعوها
واسط (بأسى) : كيف ؟!
زيـد : لم يَخْفِ دينَه فساءَ أباها ما تناهى لعلمهِ
فلم يرضَه زوجاً لخولةَ بنتِه
واسط (بحزن) : لعمري لقد آذى نصيراً بظلمـهِ
(لحظة صمت ويتمم واسط)
وخولةُ ·· ما قالت ؟··
زيـد : تكابد حبّها وتطويه في قلبٍ ينوءُ بهمِهِ
تحاذرُ أن تؤذي أباها ، وتتّقي مقالة سوءٍ إن أجابت برغمـهِ

واسط : لها الله من مظلومةٍ كابن عمها

(يكونان قد اقتربا من نهاية المسرح)

(لحظة صمت ٠٠ ويستمر واسط)

وماذا رأى من بعد ذاك نصير

زيـد : رحلتُ ، وقد شد الرحال ، ٠٠ وانه إلينا غداً أو بعده سيصير

(يبرحان المسرح)

ـ ستار ـ

الفصل الرابع

المنظر الرابع

« سوق فى يثرب ، حوانيت فى السوق ، يرتفع الستار عن الحوانيت وقد فتحت أبوابها وعدد من رجال يثرب ونسائها يختلفون اليها وعلى وجوههم الاعتزاز والفخر بعد نصر المسلمين فى بدر ٠٠ فى جانب المسرح الأيسر حانوت لتاجر قماش يهودي «

المشهد (١)

« الوقت قبيل صلاة الظهر ، بينما نرى أصحاب الحوانيت وزبائنهم مستبشرين متهللين ، نرى الوجوم على وجه التاجر اليهودى باطا وعلى وجه يهوديين قد جلسا داخل حانوته هما شاس وفنحاص ، تمر جماعة من صبيان المسلمين أولاداً وبنات وهى تهزج »

الصبيان : فتح اللهُ علينا يوم بدرٍ فانتصرنا
وجب الحمدُ علينا فحمدنا وشكرنا

(يلتفت اليهم المسلمون من أصحاب الحوانيت وزبائنهم والمارة فى السوق مبتسمين ويرددون) ٠

جماعة : قد حمدنا ٠٠ وشكرنا

اخرى : قد حمدنا ٠٠ وشكرنا

(يجتاز الصبيان المسرح وصدى اهزوجتهم يتردد من خارجه ٠٠ يتبادل اليهود الثلاثة باطا وشاس وفنحاص نظرات واجمة ٠٠ يرتفع صوت المؤذن داعياً الى صلاة الظهر ٠٠٠)

صوت المؤذن [الله أكبر ، الله أكبر ، أشهد أن لا إله الا الله ، أشهد أن محمداً رسول الله ، حى على الصلاة ، حى على الفلاح ، الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله الا الله]

(يهرع أصحاب الحوانيت الى المسجد بعد اغلاق حوانيتهم وينصرف الزبائن والكل يرددون مع أنفسهم) :

الله أكبر .. الله أكبر

(يخلو المسرح الا من اليهود الثلاثة فى حانوت تاجر القماش)

شاس (مخاطباً فنحاص): تحدَّثْ .. فقد هُرِعوا للصلاة جميعاً ولم يتخلف أحدٌ وقل لىَ .. هل خبرٌ عن قريش ؟. وما حالها ؟

فنحاص : إنها فى كمد
كأنى بها سُربِلتْ يوم بدرٍ بذل الحياة وعار الأبد
ولكنها ، خشيةَ الشامتين ، تظهر للعالمين الجَلَد

شاس : وماذا عن الثأر ؟

فنحاص : تسعى به وأحلافها ، وتعد العدد

شاس : أأنهيتَ للقوم أنا لهم ظهيرٌ وردءٌ إذا الجِد جد ؟

فنحاص : بعثتُ اليهم بمن يهمسون بآذانهم

شاس : هل حذرتَ الرَّصَد ؟

فنحاص : أجل شاسُ .. لم أدَّخرْ حيطةً ولم آلُ حذراً

شاس : فذاك الرَشَد ..

(فترة صمت قصيرة .. ويستمر شاس)

متى ينفر القوم ؟

فنحاص : لم يضربوا لنا موعداً

شاس : كل آتٍ قريبٌ
فان قريشاً ، وإن أمهلتْ تعجَّل يوماً بيوم القليب
ولن ترحض العار عن هامها بغير الدم المُهْرَاق الصبيب

فنحاص : كذلك قالت .. ولكنها توَجَّسُ من وعدنا ما يريب

شاس : وممَّ ؟!

فنحاص : من العهد ، عهد اليهود والمسلمين ، بنا تستريب

وتسأل ؛ هل شِرعة المسلمين ، أم دينُها من يهودٍ قريب ؟
وأيُّهما الحق ؟..

شاس : أنفِذْ الى قريشٍ غداة غدٍ من يجيب :
قريشٌ على الحق لا المسلمون ، ودين قريش إلينا القريب

باطا (متدخلاً فى الحديث) : ولكنني خائفٌ صاحبيَ ..

فنحاص : ممَّ ؟

باطا : من النكث .. نكثُ العهودْ
لعمرى لئن علم المسلمون فهيهات أن يغفروا لليهود

فنحاص : فلن يعلموا

باطا : واهمٌ .. فالدخان يهدى الى النار ذات الوقود
أيخفىَ ائتمارٌ على المسلمين ورهطهمو كلَّ يوم يزيد ؟!
وماذا إذا مشركٌ من قريشٍ صبا ثم أنهى لهم ما نريد ؟..

فنحاص : جهرنا .. فنحن أولو قوةٍ وحولٍ وطولٍ وبأسٍ شديد

باطا : هراءٌ .. سيأخذنا المسلمون بنقض العهود .. وما من محيد

شاس : (مقاطعاً ومشيراً الى الجانب الايمن من المسرح)
صهٍ .. خرج القوم بعد الصلاة .. فخوضا معى فى حديث جديد

(يقلب اليهود الثلاثة قطعاً من القماش .. يمر بعض المسلمين أمام حانوت اليهودي فيسلمون)

مسلم من المارة : سلامٌ لأهل الكتاب

اليهود : سلامٌ

مسلم آخر : سلامٌ

اليهود : سلامٌ

مسلم ثالث : سلامٌ

اليهود : سلامٌ

(يخلو الطريق لحظات)

شاس (بسخرية) :

سلامٌ !.. غداً يعرفون السلامَ إذا رِيشَ سهم وأهوى حُسامٌ
فإن قريشاً على وترها بأكباد أفلاذها لن تنام

باطا : وما شأننا نحن ؟

شاس : لا تجهلن .. فنحن ذوو أربٍ فى الخصام
أيظهر دينٌ على ديننا ونغضي ؟

باطا (ساخراً) : لغيرىَ هذا الكلام
فإنّا لنحصر دين اليهود بنا ، لا لننشره فى الأنام
ولكن .. قل الزرع والضرع والتجارة

شاس (بحدة) : قلتُ .. أفى ذاك ذام ؟

باطا : وماذا عن العهد والمسلمين ؟ ولم يخفر المسلمون الذمام !..

(يصمت شاس ولا يجيب .. ينتهي باطا من تنسيق بضاعته وطيها .. تسمع صرخة من جانب المسرح الأيسر .. صوت امرأة تستغيث ..)

صوت المرأة (من خارج المسرح) : إلىَّ .. الىَّ .. البدار .. البدار

(تسمع من خارج المسرح ضجة .. وتتعالى أصوات)

صوت : ما بكِ ؟

آخر : ما بكِ ؟

ثالث : ما بالأَمَهْ ؟

(يسمع نشيج المرأة وهى تهمس بما أصابها .. ثم يتلوه أصوات غاضبة) .

صوت : إذن فاقتلوه

آخر : اقتلوه

ثالث : اقتلوه

شاس (مخاطباً فنحاص) : تحرَّ لنا الأمر كى نعلمهْ
ولا تُبطِ

(يخرج فنحاص ليستطلع الأمر .. صوت رجل يطعن فيصرخ)
الصوت (من خارج المسرح) : آهِ قُتِلتُ
صوت : الجحيم مثواكَ
آخر : دِينَ بما أجرمهْ
(يهرع نفر من المسلمين من الجانب الايمن الى الجانب الايسر فيلقون فى طريقهم مسلماً قادماً من الجانب الأيسر .. يسأله أحدهم)
أحد الجماعة : أخطبٌ ؟..
المسلم : أجل .. صائغٌ من يهود تعرّض لامرأةٍ مسلمهْ
(يتبادل شاس وباطا نظرات قلقة.. بينما يظهر الغضب على جماعة المسلمين)
أحد الجماعة : تجرّأ والله
المسلم : نال الجزاءَ
(يسمع صوت رجلٌ آخر يطعن فيصرخ)
الصوت (من خارج المسرح) : آه .. أُصِبتُ
المسلم (للجماعة) : هى الملحمهْ
كأني برهط القتيل انتحوْا بقاتله فأراقوا دمهْ
(يهرع المسلم وجماعة المسلمين الى الجانب الايسر ويبرحون المسرح)
(باطا يخاطب صاحبه وكأنه يؤنبه)
باطا : لقد صرّح الشر يا صاحبي ونحن بدأنا به اليوم
شاس (منتهرا) : مهْ
(يعود فنحاص فزعاً ويهم بالكلام فيومىء اليه شاس مسكتاً وهو يقول)
علمنا .. وهىٌ بنا صاحبىْ
(يخرجون من الحانوت ، ويوارب التاجر باطا بابه بينما ينفلت شاس وفنحاص الى الخارج ويتبعهم باطا وهو يتمتم)
باطا : بدأنا بشرٍ .. ولن نختمهْ
(يختفي باطا وراءهما ، ويخلو المسرح .. ويتغير الضوء الى عتمة المغيب ..)

المشهد (٢)

« المنظر نفسه : الوقت بين المغرب والعشاء ، الحوانيت مقفلة ، يظهر عبدالله وواسط وهما يتحدثان في طريقهما الى المسجد »

واسط : فهل كان من رأي الرسول جلاؤهم وقد صرّحوا بالشر وانتهكوا العهدا؟

عبدالله : أجل ٠٠ بدأتنا (قينقاعُ) واننا باجلائها عن أرضنا نحسن الردا

واسط : ولمْ قينقاعٌ وحدها ؟ وقريظةٌ ٠٠ وأختٌ لها ؟

عبدالله : إنا نثنّي بمن يبدا

ولسنا إذا لم تنقضا العهد نبتدي ، وان كانتا لا تضمران لنا ودا ،

واسط : لعمري لئن لم نُجلِ كلّ قبيلةٍ يهودية عن هذه الأرض لا نهدا

عبدالله : كذلكَ ٠٠ لكنّا على العهد ٠٠ من مشى يريد بنا شراً وضعنا له حدا

واسط : فقد بدأ الشرّ اليهودُ ، ولم تكن جنايتُهم في يومنا حدثا فردا

أما ذكّروا الحيّين، أوساً وخزرجاً، بيومِ (بُعَاثٍ) فاستشاطا له حقدا ٠ !

ولولا رسول الله والحكمة التي بها أخذ الحيّين لاجترحا إدّا

فكيف يكون الشر ؟ ٠٠ تالله لم تكِدْ قريشٌ لنا يوماً كفتنتهم كيدا

عبدالله (هادئا) : ألا يعلم الله الذى أنت عالمٌ ؟

واسط (وقد خف انفعاله) : بلى ٠٠ ورسولُ الله

(ثم يرفع رأسه للسماء ويستمر) يا ربّ تغفرُ

(ثم لعبدالله) ولكنّ في نفسي من القوم ما بها

عبدالله : فدعها لأمر الله ٠٠ فالله أبصرُ

له الدينُ لم تَجلبْ قريشٌ بخيلها عليه، فهل تقوى النضيرُ وخيبرُ؟!

وإن الذى أخزى ببدرٍ عداته سيمنعُه ، وهو القوى ، وينصرُ

فلا تعجلنّ الأمر واسط ٠٠ إنه له أجلٌ ٠٠ والله ينهى ويأمرُ

واسط : صبرت لأمر الله جل جلاله ٠٠ ولكنّ بي حِذْراً

عبدالله : فذلك أجدرُ

واسط : وبي خشيةٌ مما علمتُ

عبدالله : وما الذى علمتَ ؟

واسط : يوافينا نصيرٌ ويخبرُ

فقد جاءه من مكةَ اليوم صاحبٌ بأمرٍ كبيرٍ

عبدالله (بثقة) : إنما الله أكبرُ

وأين نصيرٌ ؟ غاب عنيَ يومه ·· أما زال فيما ناب خولة يُفكِرُ ؟

واسط : أجل ·· منذ ألوى يوم بدرٍ بعمه فأورده حتفاً الخولة يذكرُ

عبدالله : وماذا عليه ·· كان بالحق ضارباً ، وكان بأمر الله فى ذاك صادعا

واسط (مشيراً الى الجهة المقابلة) : كأني به جاء ··

(يدخل نصير المسرح)

نصير : السلام عليكما

عبدالله وواسط : عليك سلام الله

(يأخذ عبدالله بيد نصير مصافحاً وهو يبتسم)

عبدالله : حُييتَ طالعا

أراكَ حليف الهم ·· ما بك ؟ بُثَّني نصيرُ تجدْ صدري لبثكَ واسعا

(يصمت نصير ولا يجيب ·· يستمر عبدالله)

أتاسىُ على من آثر الكفر فانتهى بسيفك ؟

نصير : لا والله ·· ما كنتُ جازعا

ولو رجعتْ بدرٌ رجعتُ أَقُدُّه بسيفي وعاد الحق للكفر صارعا

ولكننى آسىُ على ابنته التى أرى طرفها ـ فيما يُري النومُ ـ دامعا

وماذا تراها خولةُ ابنة مانعٍ تقول وقد أرديتُ بالأمس مانعا ؟!

عبدالله : أليستْ على الاسلام مثلك ؟

نصير : إنّها ·· ولكنني أخشى عليها الزعازعا

عبدالله : وما هى ؟

نصير : أن ترتدّ

عبدالله (بهلع) : ترتدُّ ..!!

نصير : ذاك ما أخافُ عليها

عبدالله : فاسألِ الله ضارعا

يثبِّتْ على إيمانه قلب خولةٍ ويُوليكَ من إيمانه العُذر شافعا

فانك لم تصرع أباها لنقمةٍ عليه ولا في سلْبه كنتَ طامعا

ألم يتقدمْ واسطٌ لنزاله فقال له : هيهاتَ .. فانحاز راجعا .!

ألم يَدْعُ في الهيجاءِ باسمك وحده وقدكنت تأبىأن تكون المقارعا.!

فلما أبى الا نصيراً مناجزاً برزتَ فكان السيف للامر قاطعا

نصير : بلى .. كان هذا يشهد الله .. ليتها تناهى اليها الأمر

واسط : أبلغتَ سامعا

سأُنهي اليها ما تريد ، وانني لأَحسَبُها تدري بما كان واقعا ،

سيأتيك منها عذرُها ووِدادُها

نصير : إذا جاءني إيمانُها كنتُ قانعا

واسط : فدع لِيَ هذا .. وارو ما اليوم قصَّه عليك أخٌ وافى بأمر مسارعا

نصير : أنلقى رسول الله بالأمر ؟..

عبدالله : ما ترى .. إذا نحن صلينا .. فهيَّا بنا معا

(يؤذن المؤذن لصلاة العشاء بينما يبرحون المسرح وهم يتمتمون بالتكبير بعد كل مقطع من الأذان .. ويخلو المسرح .. ثم يتغير الضوء .. ويسود الظلام)

المشهد (٣)

« المنظر نفسه ، الوقت صباح ، أصحاب الحوانيت يفتحون أبواب متاجرهم، حانوت اليهودي باطا مغلق ، يمر في السوق رجال وصبيان ونساء »

صبي (لزميله وهويشيرالىحانوت باطا المغلق) : ما بال باطا اليوم لم يُبكِّرِ ؟

زميله (بسخرية) : أحسن صنعاً ٠٠ لم يعد من يشتري

(يضحكان ويجتازان)

امرأة (لزميلتها) : كاني بباطا لازم اليوم بيته

زميلتها : وكل يهوديٍّ أُدين بفعلهِ

جزاء على ما كان منهم من الأذى ، ومن يبتدىءْ بالشر يُجزَ بمثلهِ

المرأة : يقولون باطا طيبٌ

زميلتها : ان قومه خبيثون فانحاز الخبيث لأهلهِ

ولو أنكر السوءَى وقال بذمها لقوبل بالحسنى جزاء لقولـهِ

(تجتـــــازان)

(يظهر عبدالله وواسط يسيران في مقدمة المسرح ويتحدثان)

عبدالله (كمن يتمم حديثاً) : فقد آثروا درب العراق ليعرجوا الى الشام منه ؟

واسط : ذاك ما القوم أزمعوا

لَئِنْ صحَّ ما قال الذى جاء مخبراً فعِيرهمو فيالصيف تمضيوترجعُ

وما حِيلَ ما بين الشآم وبينهم إذا نحن لم نزجِ السرايا تَتَبَّعُ

عبدالله : سنزجي السرايا

واسط : ذاك ما كنت آملا ٠٠ فايّان عَبدالله ؟٠

عبدالله : ما كنتُ أقطعُ

ولكن متى ما قينقاعٌ تحملت ، فإنّا عليها فى الغداة سنطلعُ

(يجتــــازان)

(يظهر نصير وبصحبته رجل نعرف من حديثه انه الذى اقبل بأنباء قريش ٠٠ يتكلم الرجل وكأنه يتمم حديثاً)

الرجل : وأعجلني عن أن أجيء بعدتي ـ وقد جئتُ بالأنباء ـ ما أنا سامعُ
وانى لماشٍ فى الغَزاة ، وما قضى لىَ الله فيها من قضاءٍ فواقعُ
وأنت ترانىجئتُ بالسيف حاسراً، فيا ليتَ أني يوم تغزون دارعُ
نصير : أُجِبتَ ·· ستغزو دارعاً
الرجل : كيف ؟
نصير : مل بنا أهبَتكَ التى عندي
الرجل : أما اعتدٌ (مانعُ) ؟··
نصير : سواها ·· فانىكنت حرَّمتُ مانعاً على راحتى سلباً ، وحلّتْ موانعُ

ـ يجتـــازان ـ

(يدخل زيد وشيخ من الانصار وهما يتحدثان ويقطعان المسرح)

زيد : جُزيت الخيرَ كلَّ الخيرِ عني بما أسلفتَ من منن ٍ كبارِ
فقد أشركتَنى فى حُر مالٍ ، وقد آويتَني فى شِق دارِ
الانصاري : لعمرُ الله ما أسلفتُ شيئاً ، فحقُك ذاك فى مالي وداري
ولو أني تَربتُ وفيك وفرٌ قسمتَ وكنتُ جارك
زيد : خيرُ جارِ

(يصمت قليلا ·· ثم يستمر)

وكنتُ أصبتُ فى بدر نصيباً به أيسرتُ

(ثم وهو يبتسم) شيئاً من يسار

الانصاري : فبوركَ ما أصبتَ
زيد : وقلتُ أبني به بيتاً
الانصاري : وبوركَ من قرارِ
زيد (مطرقاً) : وقلتُ ·· اليكَ أخطبُ

(ثم يصمت قليلا)

الأنصاري (مبتسماً) : أنت كفءٌ لسُعدى من بناتيَ أو نُوارِ
زيد (بحياء) : فسُعدى

الانصاري : تلك عرسُكَ .. فاحتملها متى قام الجدار الى الجدار

زيد : جـزاكَ اللهُ والانصـــارَ خـيراً بمـــا زدتم عـلى حسنِ الجـوارِ

سأمضي والنفير غداً .. وهذا مُعجِّلُهـا

(يقدم للانصارى صرّة فيأخذها قائلا)

الانصارى : خيارٌ من خيارِ

ـ يجتـــازان ـ

(يسمع من جانب المسجد صوت منادٍ ينادي بالنفير)

الصوت : الى قينقاع الغـداةَ النفير

الى قينقاع الغـداةَ النفير

(ينصت من فى السوق لصوت المنادي .. ويظهر عـلى الرجـــال الحماس) .

رجل : دعوتَ فلبيــك داعي النفير

آخر : لبيكَ

ثالث : لبيــك داعي النفير

ـ ســـتار ـ

الفصل الخامس

المنظر الخامس

« دار الندوة فى مكة »

المشهد (١)

« رجال من قريش يتداولون ، فى صدر المجلس زعيمان قرشيان ، حولهما الرجال ، وهناك بعض الفتيان ٠٠ الوقت ضحى »

الزعيم الأول : ما انتفعنا بيوم أُحُدٍ ٠٠ فما زالت الى الشام عيرنا لا تسيرُ

الزعيم الثانى : بل عُزلنا ٠٠ فليس فى يثربَ اليوم لغطفانَ أو قريشٍ نصيرُ

أُجْلِيتْ (قينقاعُ) من بعد بدرٍ ، وتلتهامن بعد أحدٍ (النضيرُ)

الزعيم الأول : ليس الا (قريظةُ) اليوم فى يثرب رِدْءٌ

الزعيم الثاني : ظنٌ ٠٠ ووهمٌ كبيرُ

ما ترى حدَّها ، بُعيد الجلائين ، وقد فلَّ منشباه المصيرُ ؟ ٠٠

قد أصيبتْ بجانحيها فشُلت ، فمهيضٌ هذا وهذا كسيرُ

بمَ من بعد ما أُصيبَ جناحاها فشلا ، وإن أرادت ، تطير ؟!

رجل من الحاضرين : ذاك حقٌ واللات

آخر : ذلك حقٌ

(يدخل عبد حبشى فيعلن القوم بقدوم قادم)

الحبشى : جاءنا من بني النضير سفيرُ

(يقف الزعيمان وقد دهشا ٠٠ ويقف بعدهما الحضور)

الزعيم الثانى : أسفيرٌ من النضير ؟!

الحبشى : أجل

الزعيم الأول : يأتِ الينا

(يخرج الحبشى ، بعد لحظة يدخل أحد اليهود)

اليهودي : عِموا ضُحىً يا حضورُ

القرشيون : نَعِمْتَ ضُحىً

الزعيم الاول (وهو يصافحه) : تعال أخا نضيرٍ •• أرح جسماً

(يجلس اليهودى ، ويجلسون)

الزعيم الثانى : وأين هى النضير ؟••

اليهودي : تفرقت النّضير (بأَذْرعاتٍ) و (خيبرَ)

الزعيم الأول (متوجعاً) : يا لها •• انفرط العشيرُ

اليهودى : سنرجع

القرشيون : كيف ؟!

اليهودي : أوفدني حُيَيٌ بأمرٍ

(يصمت قليلاً••ويتفرس فى وجوههم التى علاها التساؤل••ثم يستمر)

إِنه أمرٌ خطيرُ

(يتبادل القرشيون نظرات متسائلة •• يستمر اليهودى)

أأُفضي بالذي عندي اليكم ؟

الزعيم الاول : ولمَ لا ؟

الزعيم الثاني : هاتِ

رجل منهم : حدّثْ يا سفيرُ

اليهودى (بأناة) : غداً •• أو بعدَ •• يَبلغُكم حُييٌ

الزعيم الاول (متعجباً) : حُيَيٌ !• كيف ؟• قد بعد المسيرُ

اليهودى : تلكّأ عند خيبرَ •• ثم يُفْضي اليكم بعد حينٍ

الزعيم الثاني : يستجير ؟••

اليهودي : معاذ اللاّتِ والعزّى •• ولكن بعزّ الدهر

الزعيم الثاني : ذاك هو الغرورُ

وأين له وقد أمسى وحيداً ؟

اليهودي : وهمتَ إذن •• فما انعدم النصيرُ

فانّ لـه قريظـةَ •• حـين يُومي اليها ساعة الجُلّى تطـيرُ

الزعيم الثاني : وعهد محمدٍ والقوم ؟••

اليهودى (باستخاف) : عهدٌ تقادم وامّحتْ منه السطورُ

الزعيم الثاني : وما يبغي حُيَىٌّ حين يأتي ؟

اليهودي : لذاك غدٌ ·· ولي أمرٌ يسيرُ

توافينا القبائل من سُليم ·· ومن غَطَفانُ ·· من كلِ كبيرُ

ومن أسَدٍ ومُرّةَ سيداها ، وغيرهما ·· ويلتئم الحضورُ

فيُبلِغكم مقالته حيىٌّ ويبلغهم

(يصمت اليهودي ·· ويرين الصمت لحظات ·· ثم يقطعه الزعيم الاول مخاطباً الحضور من رجال قريش وفتيانها)

الزعيم الاول : أمنكم من يشيرُ ؟

أندعوهم ؟

عدد من الرجال : أجل

احدهم (معقباً) فلعلَّ أمراً يجدُ

الزعيم الاول : فمن الى كلّ يسيرُ ؟

(يقف أحد الشباب قائلاً)

الشاب الاول : أسيرُ لمُرّةٍ

(يقف شاب ثان قائلاً)

الشاب الثانى : لسُليمَ

(يقف شاب ثالث قائلاً)

الشاب الثالث : أدعو بنى سعدٍ

(يقف شاب رابع قائلا)

الشاب الرابع : الى أسدٍ أسيرُ

(يقف شاب خامس قائلا)

الشاب الخامس : فزَارةُ لي

(يقف شاب سادس قائلاً)

الشاب السادس : وأشجَعُ لي

الزعيم الاول : فهيّوا

(ينطلـق الشبـان)

اليهودى (مع نفسه وهو يبتسم بخبث) : إذن يتحقق الأمر الخطيرُ

الزعيم الاول (مخاطباً اليهودي) : قد انطلقوا٠٠وأنت أخا نضيرٍ ٠٠ بنا

(يشير الى الخارج ويدعوه) قد آدكَ الجهد الكبير

(يتجه اليهودي مع الزعيم الاول الى الخارج ويتبعهم الحضور ، يلتفت الزعيم الاول قبل أن يبرح المسرح الى الحبشى الواقف عند الباب قائلاً)

أعدَّ لنا القِرى ٠٠ سنعود

الحبشى : سمعاً ٠٠ ستنتظم السَّخينةُ والجَزُورُ

(يخرجون ٠٠ ويبقى الحبشى وحده فيخاطب نفسه بألم عميق)

لعَمْرُ اللهِ٠٠ ما عقلت قريشٌ ، وقـد أمست يهودُ بهـا تدورُ

فتخطمها قريظةُ كيف شـاءت ، وتدفعهـا لمـا تبغى النضـيرُ

(يخرج الحبشى من المسرح٠٠ويتغير الضوء الى الظهيرة فالأصيل ثم يغمر الظلام المسرح)

المشهد (٢)

« المنظر نفسه ، الوقت عصر .. الحبشي ينضد الوسائد في دار الندوة .. تدخل امرأته الحبشية .. »

الحبشية : أما فرغتَ بعدُ

الحبشي (غير ملتفت اليها) : كلاّ

الحبشية : عجّلِ

قد طوّف القوم وجاءوا

الحبشي (يلتفت اليها) : اقبلي

وساعديني

الحبشية : قد فعلتُ **(تساعده)**

الحبشي : عجّلي

(ينتهيان من تنضيد الوسائد ، ثم تنصرف الحبشية ويبقى الحبشيُ وحده ، بعد لحظات يدخل القوم وفيهم رجال القبائل الوافدة ، يأخذون مجالسهم من دار الندوة ، يجلس الزعيم الاول في الصدر)

الزعيم الاول (مرحبًا) :

على الرحب سادات القبائل .. وانفروا غداً ثم عودوا بالعديد المحرّبِ

ولا تغفلوا ما كان أوصاكمو به لدى اللات والعزّى حييُ بن أخطبِ

فانكمو اقسمتمو

أحدهم : نحن عند ما حلفنا

آخر : ونمضي في غدٍ .. فترقّبِ

سنحجب وجه الشمس بالبيض والقنا فتحسبها عند الصباح بمغربِ

الزعيم الأول : فذلك بالأحزاب عهدي، وانني لأبصرُها قد عسكرت عند يثربِ

مسارع (شاب من قريش) : بنفسيَ شيءٌ من حييّ بن أخطبِ

الزعيم الاول : وما ذاكَ ؟

مسارع : موتورٌ يُجشّمنا الوِترا ٠٠

الزعيم الاول : ونحن ٠٠ ألم نوتَرْ ؟٠٠

مسارع : بلى ٠٠ بيد أنكم أصبتم بأُحْدٍ ما نقعتم به الثأرا

الزعيم الأول : فما زال دربُ الشام وهو معوَّرٌ علينا، وما زالت سرايا هو تترى

مسارع : ولكنني أخشى الوقيعة بيننا إذا جعلت أرحامُنا في الوغى تفرى
ليثأر رهطٌ من يهودٍ

الزعيم الأول (منفعلا) : أتنثني ؟ وقد أوشكتْ تضرى ٠٠

مسارع (بهدوء) : الأَناةُ بنا أحرى
وماذا علينا لو تركنا محمداً ورهط يهودٍ

الزعيم الأول : إنها النهزةُ الكبرى
فلا تخذل الأحزابَ ، ويحك ، واعتزل إذا كنت تخشى جاحم الحرب إذ تضرى

مسارع : وهمتَ ٠٠ فما بي خشيةٌ ، غير انني أحاذر أن تُخفي يهودُ لنا الغدرا
فقد حصدت من قبل أوسٌ وخزرجٌ بيوم (بُعاثٍ) من وقيعتهم شرا
يريدون أن نفنى تباعاً فيخلصوا وقد ملكوا ما بين صنعا الى بُصرى

الزعيم الاول (يقف مغضباً) :
تنحَّ ٠٠ لعمرُ اللاَّت أنت مخذِّلٌ ٠٠ ولسنا ، وان خذَّلتنا ، ندَعُ الأمرا

مسارع (واقفاً) : سأمضي ٠٠ وقد أعذرتُ ٠٠ فالحلمَ ٠٠ والحجى ٠٠

(ينصرف ٠٠ وحين يصل الى الباب يخاطبه الحبشي بصوت خفيض)

الحبشي : لعمري لقد أعذرتَ قومك ٠٠ فالصبرا

(يتهامس القوم بعد انصراف مسارع ٠٠ ويبادر الزعيم الاول الى الكلام منفعلا)

الزعيم الاول : سمعتم لما قال الفتى ٠٠

أحد رجال القبائل : لا عليكَ

آخر : قد حلفنا

ثالث (وهو يقوم) : وإنا نافرون لنحشُدا

رابع (وهو يقوم) : وداعاً إذن حتى نعودَ فنلتقي فانا ضربنا عند يثرب موعدا

(يقوم الجميع ويصافحون الشيخ الأول وينصرفون ٠٠ ويتبعهم القرشيون مودعين ٠٠ ولا يبقى فى المسرح غير الحبشي)

الحبشى (بأسى) :

قريشُ ٠٠ لحاكِ اللهُ ٠٠ تقْلين أحمدا وقد جاء يدعو دعوة الحق والهدى
وتُدنينَ منك الأبعدين مكانةً إذا ما رأيتِ الأبعدين له عِدى
وما ناصحٌ منهم وإن خِيلَ ناصحاً ولا مرشدٌ منهم وإن ظُنَّ مرشدا
يريدون أن تجري الدماء فيشربوا مريئاً دمَ القربى ٠٠ فانَّ بهم صدى
وأن تأخذَ الهيجاءُ سادة يعربٍ لكي يأخذوا من تنبذ الحرب أعبُدا
قريشُ ٠٠ أيُزجىُ بالقبائل للتي تريد يهودٌ إذ تريد محمدا ؟!
قريشُ ارعوي ٠٠ للخير يدعو محمدٌ ، وللشر يدعو في الورى من تهوّدا

(يخرج بخطوات بطيئة ٠٠ ويتغير الضوء فى المسرح الى الاصيل ٠٠ ثم يلفه الظلام)

المشهد (٣)

« المنظر نفسه ، المسرح خال ، تتوالى عليه الأضواء ، الصباح ، فالظهيرة ، فالأصيل ، فالعتمة ، فالظلام ٠٠ ، يتكرر ذلك دلالة على تعاقب الايام ، ثم يستقر أخيراً على الصباح ٠٠ يدخل الحبشى المسرح وبيده عصا ينفض بها الغبار عن ستائر الندوة وحشياتها وهو يتمتم مع نفسه »

الحبشي : يا رحمة الله اشملي محمدا
والمسلمين الراكعين السُجَّدا
يارب َ ٠٠ والنصرَ لهم والمددا
ربِّ ٠٠ وأحصِ الكافرين عددا
وفرّق الأحزابَ عنهم بَددا
وامحقهمو ٠٠ ولا تغادر أحدا

« يدخل الزعيم الثانى ٠٠ يصمت الحبشي ويستمر فى عمله »

الزعيم الثاني : أكنتَ تزمزمُ ؟

الحبشي (تاركا العمل) : لا

الزعيم الثاني : قد فعلتَ ٠٠فما قلتَ ؟

الحبشي : لا شيىءَ يا سيدي

الزعيم الثاني : تغني ؟٠٠

الحبشى : أغني ؟٠٠ أنا ٠٠!

الزعيم الثانى : مثلما تغني الأحابيشُ

الحبشى : لم أعتَدِ

الزعيم الثاني : فما اعتَدتَ ؟

الحبشى : أن أخدم الأكرمين

الزعيم الثاني : وان تتجسس

الحبشي (رابط الجاش) : لا ٠٠ سيِّدي

الزعيم الثاني : فمن أبلغَ النَّفرَ الصابئيْن بيثرب بالزحف والموعـــد ؟!٠
وأنهى اليهم بما كان قيل إذ نحن في البيت أو في الندي ٠!
وأنبأهم بالعديد الذي كعدِّه العُرْبُ لم تَحشُد ٠!
فقد حفروا حولهم خندقاً عريضاً على وثبة الأجرد
وما كان خندقهم ليتمَّ لو خبرُ الزحف لم يبعد

الحبشي : أذلك يخفى ؟٠٠ وهم يحذرون أن يُطرقوا في دجىً أسود ٠!

الزعيم الثاني : كوجهك يا عبدُ

الحبشي (مبتسماً) : وجهي براه بارىءُ وجهكَ

(ينفعل الزعيم الثاني ويلطم وجه الحبشي ٠٠)

(يستمر الحبشي هادئاً ٠٠٠)

لا تعتدِ
فذلك حقٌّ ٠٠ وأنتَ الذي بدأتَ ٠٠ ولستُ أنا المبتدي

الزعيم الثاني : فوَ اللاتِ هذا كلامُ الصِباءِ وما هو من لهجة الأعبُدِ
فمهلاً ٠٠ أعلِّمْكَ كيف يكون رد العبيد على السيِّدِ

(يميل الى ستار على أحد جدر الندوة فيزيحه ويعمد الى سوط معلق وراءه فيتناوله ويضرب به الحبشي)

الزعيم الثاني (ضارباً الحبشي بالسوط) : فَخُذْ

الحبشي (بصوت مكتوم) : آهِ

الزعيم الثاني : خذ

الحبشي : آهِ

الزعيم الثاني : خذ

الحبشي : آهِ

الزعيم الثاني : خذ

(وقبل أن يهوى عليه بالسوط هذه المرة يكون مسارع قد دخل المسرح وامسك بيد الزعيم الثانى وانتزع منه السوط)

مسارع : كفى ٠٠ قد قسوتَ به ٠٠ فاقصدِ

(يرمى مسارع بالسوط الى الارض ويريح الحبشى على صدره)

الزعيم الثاني (منفعلاً) : فما لكَ أنت وعنِ الصبَّاءِ علينا ؟!

مسارع : بلغتَ ٠٠ فلا تزددِ

الزعيمالثاني : صهِ ٠٠ أيها القُعْدُدُ المنثني عن الزحفِ

مسارع : ما أنا بالقعددِ

ولـكننى لا أُنيـلُ اليهـودَ ، فتخطَمني للـوغى ، مِقْـوَدي

(ياخذ بيد الحبشي ويهمان بالخروج ، وقبل أن يبرحا المسرح يُسمع صوت منادٍ من الخارج)

المنادي : إنكفأتْ قريشُ والأحزابُ

إنكفأتْ قريشُ والأحزابُ

(تسمع ضجة فى خارج المسرح ٠٠ وأصوات تتساءل)

صوت : ماذا تقول ؟

آخر : ما تقولُ ؟

ثالث : ما الذى تقولُ ؟

المنادي : قد أدبرتِ الأحزابُ

(يتسمر الزعيم الثاني فى مكانه ٠٠ ويردد مع نفسه بينما يدخل المنادي وحوله شيوخ ونساء وصبيان)

الزعيم الثاني : إنكفأوْا ؟!٠٠

(ثم يلمس عينيه ٠٠)

في يقْظَةٍ ؟٠٠ أم فى كرىً

أنا ؟٠٠ أم اعترى حِجايَ ما اعترى ؟!

عشـرةُ آلافٍ كـآســاد الشـرى

إنكفأوْا ؟!٠٠

المنادي : أجل .. وعـادوا القهقرى

الزعيم الثاني : أذاك حـق ؟ أم حـديث مفتـرى

(ثم يهز المنادى بعنف من كتفيه .. ويستمر)

ويحكَ .. كيف كان ذاك .. ما جرى !

المنادى : طـال حصـار يثرب وأعسـرا

فقـد وجدنا كل شيء محضـرا

خندقهـا من حولهـا محتفـرا

وزادهـا وفـراً يقيت أشهـرا

الزعيم الثاني : أخـوطبت (قريظـة) لتنفـرا ؟

المنادى : همّت .. فلم يُقدَر لها أن تظهـرا

الزعيم الثاني : فهي غـداً تلقى مصيراً منكـرا

يعمّ بعـد (فـدكـا) و (خيبـرا)

(يصمت لحظة .. ثم يواصل)

وجمعكم ؟!

المنادى : أقـام حيث عسكـرا

فمـا استطاعت خيلـه أن تعبـرا

ومـرّت الأيـام تزجي نـذرا

وجـاءنا القـرّ عبوسـاً قمطرا

(يصمت قليلاً .. ثم يستمر)

وذات ليـلٍ لـم نجـد مصطبـرا

جمّـدنـا بـرد الشتاءِ في العـرا

وهبّتِ الـرّيح علينا صرصـرا

فكفـأت قـدورنـا الى الـورا

واقتلعـت خيامنـا مـن الثـرى

وأومضـت عـين السمـاء شـررا

وأرسـلت مثـل الأتـيّ المطـرا

فـزلّت الأقـدامُ والسيلُ جـرى
وقصـف الرعـد ، فخِلنـا عسكرا
يَدْهَمُنا منهـم ٠٠ ، وما كنـا نرىٰ ،
فشـاع فينـا الرعـب والـروع سـرى
وقـام فينـا من يصيح ؛ القهقـرى ٠٠
الخُفُ أضوى٠٠ والكُراعُ ضَمُرا٠٠،
فـاصطـرخ الجمـع ٠٠ وولّى مـدبـرا

(يرين السكوت لحظات ٠٠ ثم يقطعه الزعيم الثاني وهـو يدفع المنـادى بعنف ويتجه خارجاً) ٠

الزعيم الثاني : قُبِّحتَ يـا أشـأمَ راوٍ خبـرا
إنى لمـاضٍ أتحرى مـا جـرى ٠٠

(يندفع الزعيم الثاني خارجاً ويتبعه الحاضـرون ، ولا يبقى فى المسـرح الا الحبشى ومسارع ٠ يخر الحبشى ساجداً لله سجدة الشكر بينما ينطق مسارع بالشهادتين)

مسارع : أشهد أن لا اله الا الله وأشهد أن محمداً رسول الله

الحبشى (يرفع راسه بعد السجود مردداً) :

الحمد لله الذي أيَّـد عبـدَهْ
الحمد لله الذي أعزَّ جُنـدَهْ
الحمد٠٠ يامن هزم الأحزاب وحدَهْ

ـ ستار ـ

الفصل السادس

المنظر السادس

« واجهة المسجد فى مدينة الرسول المنورة (يثرب) ، ينفرج الستار عن ساحة أمام باب المسجد ، عند الباب دكة تتسع لاثنين أو أكثر ، وفى أعلا باب المسجد مشعل مثبت الى جريدة نخل »

المشهد (١)

« الوقت بعد صلاة العشاء والمشعل يضيىء الساحة أمام المسجد • المصلون يبرحون المسجد بعد الصلاة ، يلاحظ أنهم من الشيوخ المسنين والصبيان »

صبي (لصاحبه وهو يصافحه) : تقبـّل الله

صاحبه : أجمعينا

ـ ينصرفان ـ

صبى آخر (لصاحبه وهو يصافحه) : تقبـّل الله

صاحبه : أجمعينا

ـ ينصرفان ـ

شيخ (لصاحبه وهو يصافحه) : تقبـّل منك الله

صاحبه : منـّا ومنكمو

ـ ينصرفان ـ

شيخ آخر (لصاحبه وهو يصافحه) : تقبـّل منك الله

صاحبه : منـّا ومنكمو

ـ ينصرفان ـ

« يخرج الشيخ عبدالرحمن وهو يتمتم مسبحاً بعد أن أتم صلاته ، يرى الشيخ متمماً بن واسط وهو يهم بالخروج •• يظهر متمم فى هذا المنظر

صبياً يافعاً »

عبدالرحمن (مبتسماً) : تقبَّل الله يا متممْ

متمم (مقبلا عليه ومصافحاً) : ومنــكَ يا سيدي تقبــلْ

عبدالرحمن : تعالَ يا ابني .. تعالَ

(يأخذ بيده الى الدكة ويجلسان .. يستمر عبدالرحمن)

بوركتَ من فتىً مؤمن مؤمَّل

متمم : بوركت يا سيدي وشيخي

عبدالرحمن (متبسطاً فى الحديث) : تحفظ ماذا ممَّا تنزَّلْ ؟

متمم (يعتدل فى جلسته ويتلو بصوت ندى) :

بسم الله الرحمن الرحيم

[اللهُ نورُ السماواتِ والأرضِ مثلُ نوره كمشكاةٍ فيها مصباح المصباح فى زجاجةٍ الزجاجة كأنها كوكبٌ دريٌّ يوقد من شجرةٍ مباركةٍ زيتونةٍ لا شرقيةٍ ولا غربية يكاد زيتُها يضيءُ ولو لم تمسسه نارٌ نورٌ على نورٍ يهدي اللهُ لنوره من يشاءُ ويضرب اللهُ الأمثال للناسِ والله بكل شيءٍ عليم] .

عبدالرحمن : قد صدق الخـالق العظيـمْ ، وبلَّـغ المـرسـلُ الـكريـمْ

متمم (بتردد) : يا سيِّدى .. قد تلوتُ .. ما لم أفهم

عبدالرحمن (مبتسماً) فسلني عمَّا تروم

متمم : زيتونةُ النور ؟!

(يصمت قليلاً)

عبدالرحمن (برقة) : أيُّ شيءٍ فيها ؟.. لقد شبَّه العليم

متمم (بكلمات عذبة) :

ليست لشرقٍ .. ولا لغربٍ .. أين تُراها إذن تقومْ ؟..

(يبتسم عبدالرحمن ويمسح على راس متمم بحنو وهو يجيب)

عبدالرحمن: تقومُ فى الأرضِ حيثُ قمنـا وفرعُهـا يلمَس النجـومْ

في وسـط الأرض ، لا لشرقٍ ولا لغـربٍ من التخـومْ
في بقعـةٍ لـم تطـأْ ثراهـا خطـىً لفُرسٍ ولا لـرومْ
قـد رامهـا الفيـلُ ذاتَ يـومٍ فدمـدم اللهُ بالـرجـومْ
في حيثُ جبريـلُ خـفّ بالوحي من لدن ربّـه العظيـمْ
وبلّـغ المصطفى' فنـادى' يـدعـو الى دينـه القـويـمْ
في كعبة الله ..

متمم (بعجب) : هـل يراهـا من كـان في مكـةٍ يُقيـم ؟!

عبدالرحمن: بُنيَّ .. أنىَّ يُقِمْ يجدُهـا من كـان للحـق يستقيـمْ
فانهـا يغمـر السمـاواتِ والثرى' نورُهـا العميـمْ
وكـلُّ ذي فطـرةٍ يراهـا وكـلُّ ذي خـافقٍ سـليـمْ
ولا يراهـا امـرؤٌ كفـورٌ في صـدره خـافـقٌ سـقيـمْ
ولا يـراهـا امرؤٌ شـقيٌّ ولا يـراهـا امـرؤٌ أثيـمْ

متمم : فما هيَ ؟..

عبدالرحمن : النورُ.. لا سواه.. لا الشمسُ أسنى' ولا النجومُ
وكلُّ مـا في الدنى ظـلامٌ لـولاه ، والنـاسُ كالبهيـمْ

(يلمس متمم جبهته بيده وهو يحاول أن يفقه كلام عبدالرحمن ثم يتساءل ..)

متمم : النورُ يا سيّدي كثيرٌ .. فأيُّه ؟..

عبدالرحمن (بروحانية وصفاء.. بينما يتسلل ضوء القمر الى المسرح) :
كلُّ ما يُنيرْ
اللهُ نورٌ ، والحقُ نورٌ ، والخـيرُ نـورٌ ، والحبُّ نـورْ
ودينُنا النـورُ .. فهـو يهـدي لله والحـق والضمـيرْ

(يرين الصمت لحظات .. ثم يقطعه متمم)

متمم : علمتُ .. أوكدتُ .. بيد أني أرى الضـلالاتِ والشـرور
فكيف تفشـو والنـورُ يسـري ويغمرُ العالم الـكبيرْ ؟!

عبدالرحمن: ذاك امتحانٌ لكل نفسٍ ، وليس بالهيّن اليسيرْ ،
قد رُكّبَ الخيرَ في البرايا ورُكّبَ الشرُّ والفجور
وأُعطيَ العقلَ كي يَميز الانسانُ دربيه في المسير
والمرءُ يجزى على اختيارٍ بجنةٍ أو لظىً سعير
ولا ترى في الأنيس خيراً لو استوى الخلق في المصير

متمم : فكيف يأبى الأنسان خيراً ؟..

عبدالرحمن : يأبى له الكِبْرُ والغرور
وما على الأرض من متاع زيفٍ ومن زخرفٍ غَرور
ربَّ هوىً يا بنيّ أعمى أصمّ في سامعٍ بصير
يقوده كيف شاء حتى يوردَه المَوردَ النكير

متمم : وما الهوى ؟..

عبدالرحمن: الميلُ حيث تهوي النفوسُ من باطل الأمور
لمتعةٍ عمرها قصيرٌ وشرُها ليس بالقصير
لوَفرةٍ لم تُصَبْ بحقٍ تُنفَقُ في منفقٍ حقير
لسطوةٍ لا تُراد الا لمغنمٍ طائلٍ وفير
للفخر والزهو والتعالي والعزف والقصف والسرير
أما ترى قيصراً وكسرى شادا الأواوين والقصورْ
وازّينا بالنضار حلْياً وارتديا الخزّ والحرير
واتخذا المركبَ الموطّا واتسدا الناعم الوثير
وسخّرا الناس دون حقٍ فالكل مستعبدٌ أجير
وأزجيا بالجيوش تفنى في مطمعٍ ليس بالخطير .!

متمم : فما يريدان ؟

عبدالرحمن: كلَّ شيئٍ .. كأنما خُلّدا الدهور
هذا يريد الدنيا ، وهذا يريدها ..َ والدنى تدور
فهي لهذا يوماً ، ويوماً لذاك ، والغارمُ الكسير
وما يكفّان عن طماعٍ الا اذا شُقّت القبور

متمم : أليس من ناصحٍ ؟

عبدالرحمن : لعمــري قــد بلّــغ المنذر البشـــير

دعاهمـا المصطفى فصمّـا سمعـاً وأعمـاهمـا الغُـــرور

ولـو أجابا أجاب خلقٌ ، ممـن أطاعوهمـــا ، كثـير

متمم : ماذا وقـد أعرضـا وصـدّا عن الهـدى ؟

عبدالرحمن : المنطقُ الأخير

نجاهـد الـكافريـن فيـه ليأذن الله بـالظهـــور

فـديننـــا للـــورى جميعـــاً وليـس للأهـل والعشـــير

متمم : فهل الى ذاكَ من سبيلٍ ؟

عبدالرحمن : بُنـيَّ لا تعجَـلِ الأمـــور

إن فُتحـتْ مكّـةٌ دعـونـا للـروم والفـرس بالنفـــير

(يسود الصمت برهة ، ثم يسمع صهيل فرس ، وترجـل فارس عنه ، ثم صوت رجل يردد)

الرجل (من خارج المسرح) : يا أيها المسلمون ٠٠ بشرى

عبدالرحمن (يقف متجهاً الى مصدر الصوت) : أقبل من مكّةَ البشيرُ

(يدخل الرجل ويتبعه عدد كبير من الشيوخ وبعض الصبيان)

الرجل : بشراكمو ٠٠ قد فُتحتْ مكةٌ

الحاضرون (بصوت واحد) : [نصرٌ من الله وفتحٌ قريبٌ]

عبدالرحمن (يتلو) : [إذا جاء نصرُ الله والفتح ورأيت الناس يدخلون فى دين الله أفواجاً فسبّح بحمد ربّك واستغفره انه كان توابا]

(ثم يستمر) سبحانك اللّهم واغفر لنا ، أثبتَ بالفتح فنعم المُثيبُ

الحاضرون (يرددون) : سبحانك اللهمواغفر لنا٠٠أثبتَ بالفتح فنعم المثيب

عبدالرحمن (للرجل) : حدّث

الرجل : دخلناها وتكبيرنا يصعد من أفواهنا والقلوب

ويمّم َ الكعبة َ خير الـورى في موكب لله فخم ٍ مهيب
فكُبّت الأصنام من فوقهـا ومن حواليها وقـام الحبيب
فطهّـر البيـت وصلى بـه وكبّـر الله السميـع المجيب
وأقبلت من بعد أفواجنـا تسعى وفي كل فـؤاد وجيب
وجـاءت الأفـواج من مكـة ٍ تشهـد لله وللمصطفى
وتنبـذ الشرك وأصنامـه ، فقـد هداها الله فيمن هدى

أحد الحاضرين : ما فعل المختار ، صلّى عليه الله ، فيمن نـاله بالأذى ؟

الرجل : قال لهم ماذا تراني بكم أفعـل ؟ قالـوا لأبرّ الـورى ؛
خيراً .. أخ ٌ أنت كريم ٌ .. ، فما كذّبهم في ظنهم .. بل عفا

عبدالرحمن : فـذلك المختـار ُ في بِـرّه ِ وحلمـه ، فـذلك المجتبى ُ
(يرفع رأسه) الشكر لله

(ثم للحاضرين ومشيراً الى المسجد) وهيّوا بنا هيّوا نصلي الشكر

الحاضرون : هيّوا بنا

(يتجه عبدالرحمن الى المسجد ويتبعه الحاضرون لصلاة الشكر ، يغمر المسرح نور ساطع رائع .. يخف تدريجاً ويحل الظلام ، تتوالى الأضواء متعاقبة دلالة على تعاقب الايام)

المشهد (٢)

« المنظر نفسه بعد أيام ، الوقت قبيل صلاة العصر ٠٠ الطريق خال امام المسجد ٠٠ يظهر اثنان من المنافقين يتكلمان حذرين »

الأول : يظنون ان الفتح وطّدَ أمرَهم

الثاني : فما بعدُ ؟

الأول : حشدٌ هائلٌ ٠٠ وزحوفُ

الثاني : وكيف ؟

الأول : أعدّتْ للقتال هوازنٌ رجالاً وشدت للصيال ثقيفُ وسوفَ

الثاني (محذراً) : صهٍ ٠٠ واني لألمح قادماً

الأول (مغيراً الحديث) : بلى ٠٠ إن كيدَ المشركين ضعيفُ

(يتجهان الى المسجد بينما يظهر عبدالرحمن من الجانب الآخر ، يلمحهما ينسلان الى المسجد فيبتسم ويعقب مع نفسه ٠٠)

عبدالرحمن :

وأضعفُ منه كيدُ كل منافقٍ دسيس ، ودسّتْ فى الرغام أنوفُ

(يدخل متمم فيقف ازاءه)

متمم : سلامٌ على شيخي

عبدالرحمن : سلامٌ ورحمةٌ

متمم : أغاظك أمرٌ ؟

عبدالرحمن : قـالةٌ يـا متمـمُ

يروح بها مكْراً ويغدو منافقٌ وينشرها فى المسلمين فتعظمُ

متمم : فما قيل ؟

عبدالرحمن : لا أدري ٠٠ وان كنت واثقاً بأن أُناساً غاظها الفتح تنقمُ

وتمشي بكيد فىالمدينة مثلما مشتْ قبلهذا اليوم

متمم : يا شيخ ٠٠من هم ؟
فاني ورهطاً من صحابي ومعشري لنحصُبُهم حصباً ، فمرنا ، ونرجمُ

عبدالرحمن :
متممُ مهلاً ٠٠سوف تَخزى وجوههم متى عاد جيش الفتح ٠٠مهلاً متممُ
خذوا حِذْرَكم منهم ولا تسمعوا لهم وإن خِيلَ صدقاً ما أشاعوا وعمموا
يريدون أن تُصغوا فينساب مكرهم الى أنفسٍ منكم كما انساب أرقمُ
فلا تُبلغوهم ما يريدون وانبذوا ، فما يقتل الخرّاصَ كالميل عنهمو

متمم : فلِمْ لا نغاديهم بما لا يسرهم ونُخرِسُ أفواهَ النفاق ونلجمُ ؟

عبدالرحمن : لذاك أوانٌ يا متمم فاصطبر ٠٠لذاك أوانٌ ٠٠فاصطبر يا متممُ

(ثم يتلو) [لئنْ لم ينتهِ المنافقونَ والذين فى قلوبهم مرضٌ والمُرجفون فى المدينة لنُغريَنَّكَ بهم ثم لا يُجاورونك فيها الا قليلا ٠ ملعونين أينما ثُقفوا أُخِذُوا وقُتِّلوا تقتيلا ، سُنَّةُ الله فى الذين خَلَوْا من قبلُ ولن تَجد لسُنَّةِ الله تبديلا ٠]

(يؤذن المؤذن لصلاة العصر)

الله أكبر ٠٠ الله أكبر

(يردد عبدالرحمن ومتمم التكبير مع نفسيهما ويدخلان المسجد ، بينما يتوافد المصلون ، وأغلبهم من الشيوخ واليافعين ، ويخلو الطريق عندما يتم المؤذن الأذان) ٠

المشهد (٣)

(بينما المصلون فى المسجد ، يظهر بعض المارة فى الطريق ، امرأتان تجتازان المسرح)

الاولى : ويقولون قد أعدّتْ ثقيفٌ مثلما حشّدت هوازن عددْا

الثانية : شتّتَ اللهُ جَمعهم مثلما شتّتَ جمعَ الأحزابِ عنا فرُدّا

(تعبران ، ويظهر صبيان يجتازان المسرح)

الاول : المسلمون اليوم أقوى عُدّةً وعددا
هم الكثيرُ .. والكثيرُ لايُنالُ أبدا

الثانى : أجل .. يا ويل ثقيفٍ وهوازنٍ غدا

(يعبران .. ويتقدم الوقت ويبدأ المصلون بالخروج من المسجد)

المشهد (٤)

(يخرج عبدالرحمن ومعه متمم فيقعدان على الدكة··لحظة ويخرج المنافقان)

الأول (لعبدالرحمن) : تقبّل منك الله يا شيخ

عبدالرحمن (يصمت لحظة ثم يومىء لهما) : قرّبا

(يتبادل المنافقان نظرات قلقة ·· ويقتربان ·· يشير عبدالرحمن الى الارض أمام الدكة)

تعالا اقعُدا

(يجلس المنافقان أمامه على الارض بعد تردد ·· يستمر عبدالرحمن)

ماذا تُسِرّانِ من سرٍّ ؟

(تظهر على المنافقين علامات الرعب ، ويتجمع عدد من المارة رجالاً ونساء يصمت المنافق الأول ·· بينما يقول الثانى)

الثانى : نُسِرُّ ؟!

عبدالرحمن : أجلْ ·· ماذا تُسِرّان ؟ أفصِحا ·· أثمَّةَ أمرٌ ؟

الأول (بكلمات متقطعة) : ليس ·· ثمّةَ ·· من أمرِ

امرأة من الحاضرين (مخاطبة الأول) :

كذبتَ ·· فقد حدّثتَ فى حيّنا الضحى بمكرِ

عبدالرحمن (للمرأة) : فقصّي ما أذاع من المكرِ

المرأة : تَحدّثَ عن حشدٍ تُعد هوازنٌ كثيفٍ وحشدٍ من ثقيفٍ ومن نصرِ ومن جُشَمِ

الاول : قلتُ الذى قد سمعتُه

عبدالرحمن : كذاكَ ؟ فمن أنباك ويحك بالأمر ؟··

(يتلجلج المنافق الأول ويتمتم)

الاول : سمعناه من ··

(ويلتفت الى صاحبه) ممن ؟

الثاني : أجل .. من محدَثٍ (ثم يصمت مزدرداً ريقه)

عبدالرحمن : فمن هو ؟

متمم (وقد شدّ قبضته) من أنباك بالأمر ؟

الثاني : لا .. أدري

(يهم متمم وبعض اليافعين بالمنافقين فيومي اليهم عبدالرحمن)

عبدالرحمن : مهلاً بَنيّ .. دعوا لله أمرَهما وللرسول اذا ما عاد منتصرا

(ثم للمنافقين)

وأنتما .. كان أحرى حين جاءكما أمر الحشود لو استقصيتما الخبرا
لعل في الأمر إرجافاً .. لعلّ به دسيسةً .. علّ من أنباكما مكرا
هباه كان صحيحاً .. فيمَ جدّكما في أن يُدسّ بمكرٍ يورث الخوَرا ؟
ولو أُذيعَ بريئاً أو أُريدَ به محجةَ الحق لم ترتبْ بمن نشرا

(ثم للحاضرين)

يا قوم .. قد جاءني أمر الحشود .. ومافي ذاك من عجب .. فالكفر ما انحسرا
ومـا يزال له رهطٌ يؤرّقـه ان يظهـر الحقُ أضعـاف الذى ظهرا
وساءه الفتحُ فاستضرتْ سخائمه وراح يَحشُدُ من أشياعه زُمرا
وقد أعد رسولُ الله عُدّتَه لخصمه ، الجيشَ والايمـان والحـذرا
وسوف يلقاه بالصحب الذين غشَوا بدراً ويرجع موفوراً ومنتصرا

أحد الحاضرين :

أجل .. لنا النصر .. نصر الله .. إن لنا جمعاً كثيفاً ويؤتي النصر من كثرا

عبدالرحمن :

أستغفر الله .. لا يُغني الكثير عن الايمان شيئاً ، ويُؤتي النصرَ من صبرا

(ثم للحاضرين) :

لا تجعلوا العُجْبَ يمشي في نفوسكمو ، فالعُجْبُ يطردمنها الصبر والحذَرا
ولا تَغرّنكم فى الحرب عُدّتكـم فان للبـأس لا للعـدة الظفَـرا
ولا يهـولنّكـم خصمٌ بعُـدتـه وجمعه ، سيولّي جمعُه الدُبُرا

(يرين الصمت لحظات .. ثم تسمع همهمة من خارج المسرح)

صوت صبى (من الخارج) : من أين جئتَ ؟

صوت صبى آخر (من الخارج) : من تكون ؟

صوت صبى ثالث (من الخارج) : ما تريد ؟

صوت شاب (من الخارج) : المسجدا

(يدخل بعض الصبيان ويتبعهم مسارعٌ وعليه أثر السفر يعرفه عبدالرحمن فيتقدم اليه بلهفة)

عبدالرحمن : مسارعٌ ؟!

مسارع : أجل ‎٠٠‎ سلامٌ

عبدالرحمن (بلهجة ذات معنى) : وعلى من اهتدى

مسارع (باللهجة نفسها) : أسلمتُ قبل الفتح ثم ازددتُ بالفتح هُدى
فقد لقيتُ وسمعتُ المصطفى محمّدا
وكنتُ فى ظل لوائه أجاهد العدى

عبدالرحمن (بفرح) : لا غرو ‎٠٠‎ قد عرفتُ فيكَ منذكنتَ الرّشدا
وكنتُ فيك آملاً ، فالحمدُ للذى هَدى

(ثم للحاضرين) مسارعٌ أخٌ لكم فى الله من أم القُرىٰ
وهو فتىً حاز من اسمه النصيبَ الأوفرا
أسرعُ من يحمل من أرضٍ لأرضٍ خبرا
إخالُه قد طار كالريح إلينا مخبرا
لنعلم الحقَّ فلا يجوز فينا المفترى

أصوات : أهلاً به

أصوات : ومرحباً به

عبدالرحمن (لمسارع) : وقصَّ ما جرى

مسارع : انطوتْ جُمعتانِ ، والقومُ فىمكّةَ رهطٌ يسعى ورهطٌ يطوفُ ،
فاذا قام للصلاة رسولُ الله قامت الى الصلاة الألوفُ
وسعدنا بما حبانا به الله زماناً ولم ترُعْنا صروف

وسكنّا حيناً ، فحرّكنا ما بيّتتْه هوازنٌ وثقيفُ
جاءنا من يقول ؛ إن القبيلين وحلفيهما عديدٌ كثيفُ
فهُرِعنا الى (حُنينٍ) لنلقاه بزحفٍ ، وأين منه الزحوفُ !
بالعديد الكثير والعُدّة الكبرى، وعُجْبٍ فى كل نفسٍ يَطيفُ . .
وبلغنا وادي حُنينٍ عشاءً فتغشى الجفونَ نومٌ خفيفُ
ثم كان الذى قضى الله . .

بعض الحاضرين : ما كان ؟ . .

مسارع : ابتلاءٌ ، بما اغتررنا ، حصيفُ
أمطرتنا ، عَماية الفجر ، نبلاً ثم شدّتْ هوازنٌ وثقيفُ
وبغتتنا . . فشلّنا الروع . . وانهارت صفوفٌ منا . . وولّتْ صفوفُ . .

بعض الحاضرين : ثمّ ؟ . .

مسارع : سلّ النفاقُ السنةً تبلغ منّا ما لم تنله السيوف
الحزازاتُ والشماتاتُ والأحقادُ . . ريحٌ تقززُ منها الأنوفُ
أظهر الله فى البلاءِ الخبايا وأزيحتْ عن النفاق الشفوفُ

عبدالرحمن : ثمّ ؟

مسارع : كانت سكينةُ الله . . والله رحيمٌ بالمؤمنين رؤوفُ
حين قام الرسولُ فى ذلك الهول ينادى ، وللمنايا زفيف ، :
أيها الناسُ . . أين ؟ يا أيها الناس ؟ . . ، فلبّى من كل حي لفيفُ
ذهب الروع حينما ثَبتَ الهادي ولم يبقَ فى القلوب وجيفُ
وتلاه العباسُ يجهر بالأحياءِ حتى صغتْ اليه الصفوفُ
ذكر الفتحَ . . والغزاتين . . والبيعةَ ، فاستبسلتْ . . وكان الوقوفُ
ثم شدّت فأوقعت فى القبيلين فلم يصمدا وولّى الحليفُ
ثم كان النصرُ المؤزّرُ

عبدالرحمن : وعدُ الله بعد ابتلائه المسلمينا
قد حمدناك ربِّ

الحاضرون : ربّ حمدناكَ

عبدالرحمن : أثبتَ الأسلام نصراً مبينا

ـ ستار ـ

الخاتمـة

المنظر الأخير

« بيت واسط في المدينة ، بسيط ، نصفه مسقوف ونصفه الآخر مكشوف ، الى اليمين بابان لحجرتين ، بينهما درعٌ معلقة الى الجدار وسيفٌ في غمده »

المشهد الاخير

« الوقت صباح .. سناد جالسة الى بساط تخيط ثوباً ، تبدو أكبر مما رأيناها من قبل .. لحظات ويطرق الباب ، تقوم وتفتحه ، تظهر سعدى ابنة الانصاري ، امرأة زيد ، تحمل رضيعها سعداً »

سعدى : أُ سعدتِ صبحاً سنادُ

سناد (مرحبة) : صُبِّحتِ بالخير سُعدى

(تلقف سعداً من أمه وهي تقول)

وكيف حالك يا سعدُ ؟

(تقبله ثم تعيده وتخاطب أمه) صـار يشبه زيدا

سعدى : أجل سنادُ .. وأحلى

سناد (مبتسمة) : حـابيتِ بـالحب سـعـدا

سعدى : كـمـا يحـابيـه زيـدٌ

سـناد : إذن فـأحسـنـتِ ردّا

(تضحكان .. تستمر سناد)

رأيتِ خـولـةَ ؟

سعدى : قد كنتُ عندهـا قبل سـاعه

سـناد : أجـاءَهـا الطَّلْقُ ؟

سعدى (باسمة) : جـاءت مولـودةٌ كالبراعـه

سناد (بفرح) : الحمدُ لله

سعدى : أما نصيرُ ...

(تتنهد وتصمت)

سناد (بقلق) ما ثمّ راعَـــــهْ

سعدى (ببرود) : كانت له خولةٌ حتى أمس غـيرَ مُشاعَهْ
واليومُ تقصيهِ عنهـا حَضانَةٌ ورَضاعهْ

(تضحك سناد)

سـناد : لحاكِ اللهُ سعدى ٠٠ خِلتُ شراً ألمَّ به

سعدى (ضاحكة) : فخيرٌ ما ألمّـا

سناد : كدأبكِ ٠٠ تهزلين العمرَ سُعدى كأنك ما حملتِ العمرَ همّـا

سعدى (متنهدة) : فان الهم يطرقني وهذا أبو سعـد بغزو الروم همّـا

سناد (بانكار) : أخوفاً ؟٠٠

سعدى : لا وربك ٠٠ كم غزاةٍ غزا زيدٌ فما كابدتُ غمّا
ولكني أخـافُ عليـه إحدى بنـاتِ الروم ترشـقـه فيُصمى

(تضحك سناد عالياً)

سـناد : فهذا كل همكِ ؟!

سعدى : ليس هذا قليلاً يا سنادُ

سـناد : أســاتِ ظنّـــا
فزيدٌ يجتبيكِ وليس يَهْوي سـواكِ وان رأى فى الروم حُسنا

سعدى : بذاك تقرُ لي عينٌ ٠٠ فقرّي

سـناد : بنصر الله سـوف أقـرُ عينـا

سعدى : يُشيع المرجفون بنـا حديثـاً

سناد (مقاطعة) : كدابهمـو ٠٠ فصُمِّى عنـه أذنا

سعدى : سمعتِ به ؟

سـناد : أجل ٠٠ والنصرُ آتٍ ولو حشد العدى إنساً وجنّـا
فما تُجدى الوفُ الروم جدوى إذا عافت مـذاقَ الموت جُبنـا
ولا تُغني سـيوفُ الروم عنهـم إذا مـا فلّهـا الأيمـانُ منّـا

(يطرق الباب ٠٠ ويدخل متمم)

متمم : زيـدٌ يريدكِ خالتي سعدى

سعدى : زيدٌ ؟

متمم : أجـل

سناد : هيءٌ الحقي زيـدا

وأنا أمرءُ بخـولةِ فارىُ

(تتجه سعدى الى الباب قائلة)

سعدى : أمضي

سناد : بحفظ الله يا سُعـدى

(تخرج سعدى ٠٠ تبقى سناد ومتمم وحدهما)

سناد : متممُ ما أتممتَ ؟

متمم : عشرين سورةً

سناد : وبالسيف

متمم : اهوي كيف شئتُ وأرفعُ

وبالنَّبل أرمي ، والسهامَ أريشُها ٠٠ فهل أنا غازٍ ؟

سناد (ضاحكة) : بعد حينٍ ستتبعُ

ودونك فاجلُ السيفَ والدرعَ ريثما أرىخولةً وقتاً قصيراً وأرجعُ

(تخرج سناد ، ينزع متمم الدرع والسيف عن الجدار ويأخذ قطعة من قماش وحفنة تراب فيجلو الدرع ويضعها ثم يسل السيف من غمـــده ويجلوه ، وحين يلمع يمسك به ويقف فيلوح به يمنة ويسرة ، ويضرب به فى الهواء كأنه يطاعن ٠٠ يفتح الباب ويدخل أبوه فيراه رافعـاً السيف ليهوى به ٠٠)

واسط : مهلاً متمم ٠٠ قد أوشكت تضربني بالسيف

متمم (وهو يعرض براعته) : أنظر أبي ٠٠ أنظر

واسط (ضاحكاً) : كفى ٠٠ حسنا

(يقبله في جبينه ويتناول منه السيف فيضعه في غمده ويتقلده ويتناول الدرع فيضعها على كتفه) .

متمم : خذني أجاهدُ

واسط : تبقىٰ اليوم يا ولدي فانّ رداءً لنا من يحرس الوطنا
وسوف تغزو باذن الله

متمم : يا أبتي .. متى ؟

واسط : إذا ما ملكتَ السيفَ واليلَبا
فنحن في عُسرةٍ والزحفُ منطلقٌ وقد تخلّفَ من لم يملك الأُهَبا

(يطرق متمم بأسى ويمسح دمعتين .. يبتسم ابوه ويربت على كتفه)

واسط : بُنيَّ لا تأسَ .. كم من مؤمنٍ سقطتْ دموعه ورسولُ الله يعتذرُ
إن فاتك اليوم غزوالروم فارْجُ غداً فغزوُ فارسَ بعد اليوم ينتظرُ

(يصمتان لحظة .. ثم يواصل واسط متسائلاً)

وأينَ أمُكَ !

متمم : كانت خولةٌ وضعتْ انثى فراحت تراها

واسط (مبتسماً) : جاءني الخبرُ

« يطرق الباب .. يفتحه متمم .. تدخل سناد بينما يخرج متمم ويغلق الباب وراءه »

واسط : سنادُ .. تعالىْ .. كيف خولة ؟

سناد (ببشر) : إنها بما رُزقتْ جَذلىٰ

(يبتسم واسط .. وتستمر سناد)

وكيف نصيرُ ؟

واسط : بعدُّته يزهو .. وفيه بشاشةٌ وبشرٌ

سناد : نصيرٌ حامدٌ وشكورُ

واسط : كذلك شأن المؤمنين ، وانما يضيق بأنثى جاحدٌ وكفورُ

سناد (بابتسامة ذات معنى) : تباركتَ يا هادى الرجال بهدْيهِ

واسط (ضاحكاً) فذلك تعريضٌ سناد مريرُ

سناد : ولم لا ٠٠ أما كنتم تضيقُ صدورُكم اذا جاءكم بالأُنثيات بشير ؟
وأيةُ زوجٍ لم يرعْها ببعلها إذا وضعت انثى قلىً ونفورُ

واسط : فذلك عهد الجاهلية وانقضى ٠٠ فَلِدْنَ إناثاً ٠٠ ليس ذاكِ يضيرُ
وقَدْكِ ٠٠فما كلُّ الرجال صدورهم تضيق بأنثى٠٠

سناد (مبتسمة) : هل رجعت تحورُ
أشيرُ الى أمرٍ فتومي لغيره ، وأنت عليم بالكلام خبيرُ

واسط : تعلمتُ هذا من سنادي ٠٠ وغيرَه

سناد : فما غيرُه ؟

واسط (بحنان) : لو تعلمين كثيرُ
تعلمتُ منها أن بيتي مدبّرٌ بذات حِجىً ، فالعيشُ فيه نضيرُ ،
تُعينُ على الأمر العظيم بحلمها وليستْ بسفسافِ الأمور تدورُ
وان حياتي فيه تمضي رضيّةً رخاءً وان الطرف فيه قريرُ
ولم تُلهِني عن صرف جهدىَ فيالذي صرفتُ له جهد الحياة أمورُ
ولولا سنادي أثقل العبءُ كاهلي

سناد : تَغَزَّلُ بي ؟٠٠

واسط : لم لا ؟

سناد : وأنتَ كبيرُ ٠!

واسط (مداعباً) : وأنتِ ٠٠ غزاكِ الشيبُ

سناد (وهي تعرض شعرها متحدية) : فاظفَرْ بشيبةٍ

واسط (ضاحكاً وهويعبث بشعرها): خَضَبْتِ ٠٠فمسوَدُّ الذوائبزورُ

(تتنهد سناد ٠٠ ويستمر واسط)

أتأسى على شيىءٍ سنادىَ ؟

سناد : لم أكن لآسى على شيىءٍ وأنت تُجيرُ

(تصمت قليلاً ثم تستمر)

تذكرتُ أياماً لنا في شبابنا بمُقفرةٍ فيها المعاشُ عسيرُ
أتذكرُ ؟ إذ كنتَ المفزّعَ كلما حدا بالفلا حادٍ ٠٠ فكنتَ تطيرُ
وتربَدُ إذ يحدو بكسرىٰ وقيصرٍ وتُصعِدُ طرفاً في السما وتُدير
كأنك ترجو في السماء بشارةً

واسط (بصوت عميق) : فقد جاء من أمر السماء بشيرُ
هدانا الى دربٍ خُطانا تشقُه وكانت بتيه الآخرين تدورُ
فعُدنا ولسنا مهطعين لقيصرٍ ولا خلف كسرى حيث سار نسيرُ
ولكننا نُومي لكسرى وقيصرٍ فان أبيا ، فالمرهفات تشيرُ ،
وكنا دعونا بالهدى فتأبّيا علينا وغرٌ العاهلين غرورُ
فسوف يرى كسرى ويبصر قيصرٌ لمن في غدٍ عُقبى الأمور تصيرُ ؟

سناد (بقوة) : فلله ربٌ الناس لا ربٌ غيره تصير وعهد الظالمين قصيرُ

(يصمتان لحظة ٠٠ يطرق الباب ثم يفتحه متمم ويدخل)

متمم : سراعِ أبي ٠٠ فالجيش همّ

واسط (وهو يأخذ كفي سناد بكفيه) : مكثتُما بحفظٍ

(يقبلها في جبينها ويستدير ليخرج)

سناد : بحفظ الله حيث تسيرُ

(ينطلق واسط ويتبعه متمم ٠٠ تسير سناد الى الباب وهي تسمع صهيل الخيل وقعقعة السلاح ٠٠ ثم تدوي تكبيرة الجيش في الخارج) :

صوت الجيش : الله أكبرُ

(تفتح سناد الباب على مصراعيه وتقف على عتبته بينما تمر سرايا المسلمين ويرفرف في مقدمتها اللواء الكبير)

سناد : منصورٌ لواؤكُمو يرفُّ ، في حيثُ تعدو خيلكم ، تيها

(تشاهد سناد السرايا وهي في مكانها على عتبة الباب ٠٠ تتوالى امامها الوجوه التي ظهرت على المسرح من قبل ٠٠ عبدالله وواسط

ونصير وزيد ومسارع وترى فى الجيش الغازي كثيراً من المهاجرين والانصار ورجالاً من قريش بعد اسلامهم وعدداً من رجال القبائل التي أسلمت ، وبعض حملة البشريات والاخبار ونفراً من العبيد ‥ وكثيرين غيرهم ‥ ثم يكبر الجيش تكبيرة ثانية تملأ المسرح)

صوت الجيش : الله أكبرُ

سناد : دين الله عَدَتكم تدعو به العَرَبُ الدنيا فيهديها

(تجتاز السرايا ومن يشيعها من الشيوخ والنساء والصبيان ويظهر أخيراً الشيخ عبدالرحمن ومتمم فيقفان أمام باب الدار حيث تقف سناد ‥ ولا يبقى فى المسرح سواهم ويظلون يشيعون السرايا بنظراتهم بينما تبتعد أصوات صهيل الخيل وقعقعة السلاح بابتعاد الجيش الزاحف ، يضع عبدالرحمن كفيه على كتفي متمم ويتلو بصوتٍ وقور مهيب)

عبدالرحمن : بسم الله الرحمن الرحيم

[وكذلك جعلناكم أمــةً وسَطاً لتكونوا شهداءَ على الناس ويكون الرسول عليكم شهيدا] صدق الله العظيم

متمم : صدق الله العظيم

سناد : صدق الله العظيم

« تمعن أصوات الخيل والسلاح في الابتعاد شيئاً فشيئاً ‥ »

بينما يهبط

ستار الختام

- خطوط العناوين للخطاط الأستاذ هاشم محمد ·
- رسم الغلاف للفنان الأستاذ نوري الراوي ·

لهما وافر التقدير وجزيل الامتنان ·

مطبعة المعارف ـ بغداد

٤٨ / ١٥٠٠ / ١٩٦٨

[تم الطبع في يوم الأثنين ٨ رجب ١٣٨٨
الموافق ٣٠ أيلول ١٩٦٨]

- طبعت المسرحية بمطبعة المعارف ·
- وطبع غلافها بمطبعة ثنيان ·

للقائمين على المطبعتين ولعمالهما الثناء والتقدير ·

آثاره المطبوعة

١ ــ شمسو	:	مسرحية شعرية	:	١٩٥٢
٢ ــ الأسوار	:	مسرحية شعرية	:	١٩٥٦
٣ ــ من لهيب الكفاح	:	ديوان شعر	:	١٩٥٨
٤ ــ حداء وغناء	:	ديوان شعر	:	١٩٦٣

ثمن النسخة ٢٠٠ فلس
طبع الغلاف بمطابع ثنيان